د. منال الدغار

أتلفها الهوى

قراءات نفسية في الخيانة

تشكيل للنشر والتوزيع

ضياء
t.me/twinkling4

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

أتلفّها الهَوى

منال الدغار

I.S.B.N : 9789776963696

رقـم الإيـــداع : 2023 / 5597

دار تشكيل للنشر والتوزيع

تقديم

بقلم أ.د/محمد طه

شرفتني زميلتي العزيزة د. منال الدغار، بطلبها الغالي لكتابتي تقديم متواضع لهذا الكتاب..

وفى الحقيقة.. وبعد انتهائي من قراءة الكتاب.. وجدت أنه ليس فقط كتابًا نفسيًّا علاقاتيًّا تحليليًّا عميقًا وبسيطًا في نفس الوقت.. لا.. نحن أمام كتاب من طراز خاص جدًا.. أسميه بكل ثقة «كتاب تشريح»..

أنت في حضرة طبيبة ماهرة.. وجراحة فريدة.. تمسك مشرطها بكل حرفية ودقة.. لتخترق نفس كل أنثى وضعت نفسها أو وضعتها أقدارها في موقف ضعف أو احتياج أو انتقام أو حيرة أو مرض أو يأس أدى إلى خيانة زوجية..

خلال قراءتك للكتاب.. ستتكشف لك في هدوء شديد طبقات متتالية من التجارب الإنسانية الصادمة، والمذهلة، والمؤلمة، والتي هي -وبكل أسف- موجودة تحت التراب.. ومدفونة داخل القلوب.. ومخفية بعناية في سراديب بعض البيوت..

موضوع الكتاب جريء بقدر جرأة كاتبته.. وتناوله العلمي والأدبي مبهر بقدر علمها وأدبها.. والرسالة التي يحاول إيصالها لا تقل أهمية عن أية عملية جراحية عاجلة..

لحالة نفسية وعائلية و-ربما مجتمعية- تنازع الحياة وتصارع الموت..

منال الدغار تعرض المشكلة بأكثر من جانب، ومن أكثر من زاوية، وعلى أكثر من مستوى.. ولا تكتفي بذلك.. هي أيضًا تحلل أسبابها، وتتعمق في أدغالها، وتسلط الضوء الكاشف على ما خفي منها.. ثم تقدم -وبكل براعة- رؤيتها العلمية والشخصية والمهنية للخلاص والحل..

منال ترسم في هذا الكتاب مجموعة رائعة من اللوحات الإنسانية النفسية متعددة الأبعاد.. تشدك خطوطها وألوانها وظلالها لتتابعها من بدايتها إلى نهايتها بكل شوق وترقب.. دون أي توقف، أو ملل..

استعد لخوض رحلة غامضة وممتعة..

داخل عقول ونفوس البشر..

وبين حجرات قلوبهم.. المظلمة..

محمد طه

القاهرة

12 مايو 2019

مقدمة

الخيانة.. سبب ونتيجة..

زوجات خائنات.. لماذا؟؟

«منذ أن تزوجنا وهو دائم الشك بي، وهو دومًا ما يتهمني بالخيانة، لا يوجد ما أستطيع قوله أو فعله لإقناعه بالعكس، لإقناعه أني لست خائنة، حتى توقفت عن المحاولة وأصبحت فعلًا خائنة»..

«كل امرأة رأيتها من حولى كانت لديها علاقة جديدة كل شهر، وبدا ذلك من أكثر الأشياء طبيعية، وأخيرًا قررت أن أجرب أنا أيضًا، والحقيقة أنه جعل الحياة أكثر إثارة..»

«أعتقد أنه شيء يتعلق بالغرور.. لقد اعتدت طوال حياتي أن أجد متعة في إعجاب الرجال بي، وأن أتمتع بمعاكستهم.. لم يغير الخاتم حول أصبعي شيئًا.. من حين لآخر أجد أني أفقد السيطرة على الوضع، وأجد نفسي في فراش رجل غريب».

«إنه ليس خطأي.. طالما طلب منى زوجي أن أكون (لطيفة) مع عملائه.. وكيف أن هذا سيكون هامًا جدًا لمستقبلنا.. أن يعجبوا بي.. واستمر ضغطه عليَّ.. حسنًا!! إنني الآن أعجبهم، كثيرًا»..

«إنه يأتي إلى المنزل مرهقًا من مكتبه الغالي -جدًا- عليه،

ولا يستطيع حتى فتح عينيه، فما بالك بالتفكير في ممارسة الحب مع زوجته.. إنني امرأة.. بشر.. إلى متى تستطيع المرأة البقاء عاقلة بين الوسائد الباردة وعلى المهدئات؟»

أنها عبارات حقيقية عن نساء حقيقيات، وإن كن خائنات..

إن الحديث عن الزوجات الخائنات قد يسبب صدمة للكثيرين الذين يرفضون رؤية حقيقة انتشار ذلك الأمر في المجتمع، لم يعد الأمر قاصرًا على طبقة معينة أو مستوى مادي معين.. ولكن صعوبة الاعتراف بذلك الأمر يؤدى إلى استحالة معرفة حجم المشكلة إحصائيًّا.

عبارات كثيرة مثل الحرية الشخصية والمساواة عرفتها المرأة العصرية، وإن كان المعيار المزدوج في نظرة المجتمع إلى الرجل الخائن والسيدة الخائنة، لا يزال موجودًا مهما كان حجم التحرر الذي وصل إليه المجتمع.

قديمًا.. كانت المرأة الخائنة ترجم حتى الموت في المجتمعات الإسلامية.. وفي المجتمعات الشرقية كان الزوج المخدوع يستطيع قتل زوجته الخائنة دون عقوبة تذكر، بل وكان يستطيع بيعها لتاجر الرقيق لتعمل لديه كامرأة محترفة، هذا إن اختار أن يكون بها رحيمًا.

في اليونان وروما القديمة كان الموت هو العقوبة الوحيدة للخائنة، ولكن غالبًا ما يكون مصير تلك الزوجات هو الوقوع في شباك الدعارة، وذلك للاحتقار الذي يلاقينه

من المجتمع.

وفى بعض المجتمعات في إنجلترا كانت الزوجة الخائنة تجبر على ارتداء لافتة «خائنة» على صدرها باللون الأحمر، بل ووصل الأمر بهم أحيانًا إلى كيها بالنار على جبينها أو يدها، أو أحيانًا حلاقة رأسها تمامًا.

وبدأت المعايير تتغير بعد الحرب العالمية الأولى أو الثانية، فقد ينتهي الأمر بالزوجة إلى الطلاق غالبًا، ولكنها لم تعد منبوذة من المجتمع كما السابق، وقد تقابل بالهمس أو برفع الحاجب ولكن ذلك الأمر لم يعد يشكل صدمة للمجتمع كما كان من قبل.

ولكن ذلك التغاضي لا يعني الموافقة على الفعل، ولكنه يعني أن نظرة المجتمع قد تغيرت من كون الخائنة امرأة مجرمة لكونها بشرًا قابلًا للخطأ، كثير من النساء سيتجنبنها، ولن تقابل بالاحترام الذي عرفته سابقًا، وستصبح مطمعًا لكل رجل يقابلها بعد ذلك.. ستكتشف أن ثمنه الخيانة يدفع على مراحل كثيرة.

حتى وإن سامحها زوجها أو حاول من أجل الأطفال، فإن الضغوط على ذلك الزواج ستتضاعف بعنف.. فإن التحرر الذي عرفه المجتمع لم يغير الطبيعة الأساسية للبشر..

إن الزواج هو عقد يتضمن في بنوده الإخلاص، ولا بد لمن يخل ببنود ذلك العقد أن يدفع ثمن ذلك، وأن يعاني حتى ولو لم تُكتشف خيانته.. سيكون هناك العديد من

الضغوط العاطفية، القلق والحيرة والتوتر.

أسباب الخيانة اليوم كثيرة.. ومتعددة.. وكذلك نتائجها.. وفيما يلي دراسة مستفيضة حول ما يجعل العشب أكثر اخضراراً في حديقة الجيران.

ثمن الخيانة يدفع على مراحل عديدة..

مقدمة النسخة الثانية

زوجات خائنات.. بزيادة..

لا ريب إن النفس الإنسانية أعقد مما يتخيل أي أحد.. لم أحاول مسبقًا قراءة ما أكتب بعد أن أكتبه، وأسلمه إلى المطبعة ويرى النور لمعرفتي يقينًا أني سأحتاج إلى الكثير من التبديل والتغيير والإضافة.. ولكن ردود الأفعال العاصفة بعد صدور النسخة الأولى من الكتاب أجبرتني على فعل ذلك وعلى تدارك الكثير من القصور الذي وجدته في الطبعة الأولى..

وجدت أن لديّ الكثير الذي ما زلت أود قوله في ذلك الموضوع.. أحسست أني أريد أن أخاطب خوف الرجل الذي يرفض قراءة ذلك الكتاب.. وأحسست أني أريد أن أخرج رأس النعامة من التراب.. تلك النعامة التي عند شعورها بالخوف تخبئ رأسها في التراب بحجة: «إن كنت لا أراك فأنت أيضًا لا تراني».. لا يا عزيزي الرجل.. من الأفضل أن تبدأ في الرؤية وتصلح البصيرة.. قبل أن تفقد شريكة حياتك..

معايير مختلطة ومفاهيم كاذبة تملأ المجتمع لا بد من مواجهتها وتصحيحها، مثل: «الرجال أكثر ميلًا للخيانة، الأمهات لا يخنَّ، المرأة العاملة أكثر قدرة على الخيانة، خائن مرة خائن كل مرة».. وغيرها كثير.. لعلنا في السطور القادمة ننجح في زعزعتها قليلًا.. الخيانة سلوك

سلبي، إنساني، قد يسلكه رجل أو امرأة وله نتائج مدمرة على جميع أطرافه..

نصحني أحد أساتذتي ألا أطبع ذلك الكتاب لأنه قد يثير حفيظة النساء ضدي، وقد أفقد عميلاتي من النساء.. ولكن وللغرابة العكس هو ما قد حدث.. لقد شعرت قارئاتي أنهن قد وجدن من يسمعهن ويتحدث بلسان تحذير -شديد اللهجة- للرجال.. «أن اشعروا بنا، وباحتياجاتنا قبل فوات الأوان».. وصارحتني العديد من الزوجات اللائي قد تعرضن لإغراء الطرف الثالث أنهن قد وجدن أنفسهن بين سطور ذلك الكتاب.. فلعل الإضافات والفصول الزائدة وإعادة كتابة ما سبق يفي بالنقص الذي أحسسته عزيزي القارئ في النسخة الأولى، وعساه قد أجاب على عدة أسئلة أيضًا أحسستها بعد قراءتك الأولى.. فإليك أهدى زوجات خائنات.. بزيادة..

فلماذا يخشى الرجل قراءة هذا الكتاب؟؟

أخبرني أحد الرجال إنه ما إن بدأ في قراءة الكتاب حتى بدأ (دماغه يلعب).. لم يستطع تخطي قراءة الفصل الثالث إلا وقد أغلق الكتاب وصمم على عدم العودة.. وأخبرني آخر أنه كان يلمح العديد من الأمارات على زوجته وانصرافها عنه ولكنه كان يرفض الاعتراف بذلك حتى وضعه الكتاب أمام الحقيقة.. وأمام الاختيار.. هل يكمل متظاهراً بعدم الرؤية؟ أم يواجهها بمخاوفه؟ ولكن ليس من سمع كمن رأى.. صعب جدًا بعد أن يرى عقلك أن

تتظاهر بعدم الرؤية..

من أشهر الجمل في الخلافات الزوجية عندما تضبط الزوجة زوجها متلبسًا بالخيانة أو التودد إلى أحد زميلاته أن تقول له: «ماذا سيكون رد فعلك إن فعلت أنا مثل فعلتك، فوجدتني أتودد إلى زميلي، أو أحادثه بصوت خافت في الحمام، أو وجدت محادثة بيننا أحدثه عن كم التعاسة التي أشعر بها في زواجي مع زوج لا يراني ولا يقدر وجودي، أو الأسوأ لو وجدته يتغزل في مفاتني وكيف أنني بصحبة رجل لا يقدر (النعمة) التي في حياته».. فيرد الزوج غاضبًا: «سأقتلك.. النساء لسن مثل الرجال»..

صعب جدًا بعد أن يرى عقلك أن تتظاهر بعدم الرؤية..

فتسأله باستفزاز: «ولم ذلك؟ أوليس فعل الخيانة واحدًا؟ ما الفرق في التأثير ما بين فعل الرجل وفعل المرأة؟؟»

فيرد غاضبًا: «ليس النساء كالرجال.. خيانتي لا تلوث الأسرة ولا تجلب للعائلة بذورًا فاسدة، بينما خيانة المرأة تفعل ذلك»..

فتقول: «ولكنه مباح لك أن تقذف بذورك الفاسدة في عائلة أخرى»..

فيقول متبجحًا: «إنني أستطيع أن أصلح خطأي فأتزوجها، كيف ستصلحين خطأك أنت إن عشت كفاية لفعل ذلك؟؟»

بل وحتى قد يرافق الرجل المرأة وعندما تطالبه بالزواج منها أو إصلاح خطئه، يخبرها بكل برود: «إنه لا يستطيع الزواج من امرأة أخطأت معه، حتى وإن كان متأكدًا أنه خطؤها (الأول)»..

وعندما تعاتبه باكية: «أترضاه لأمك أو أختك؟»

يرد عليها ببرود: «ليس أمي أو أختي ساقطات مثلك»..

وينسى دوره في السقوط الكبير.. ولا يدري أنه حتى وإن كان هذا حقيقيًا فإنه لأنهن لم يصادفن نذلًا مثله..

إن دور النعامة الذي يلعبه الرجل بمهارة هو ما يهدف ذلك الكتاب لوقفه.. وما أعرفه عن يقين أنه صعب جدًا على العقل أن يتظاهر بعدم الرؤية بعد أن عرف..

والأصعب فعلًا أن تتحمل مسئوليتك في إنقاذ زواجك وبذل مجهود حقيقي في جعله ينجح..

فإليك أيها الرجل النعامة أهدى هذا الكتاب..

اللعبة التي يلعبها الجميع

في ركن منعزل من موقف السيارات كانت تجلس متوترة، تنظر باستمرار في المرآة الخلفية، وإلى انعكاس صورتها.. لقد كانت جميلة، وبذلت جهدًا كبيرًا في إظهار ذلك اليوم، وجهدًا أكبر في محاولة إخفاء ملامحها، وشاح على شعرها، وعوينات سوداء..

ولكن ملابسها كانت تشي بوضوح أنها ليست ذاهبة للتسوق، حدّقت في أظافرها المطلية بعناية ووجدت أن يدها ترتجف..

ثم لفتت انتباهها العربة التي اقتربت وركنت إلى جوارها، وبصمت نزلت وركبت إلى العربة الأخرى، والتي انطلق سائقها دون كلمة واحدة.. لم يكن لأيهما مزاج للحوار، فلم يتكلما حتى ركن الرجل العربة في مكان آخر حيث شقة اللقاء.

كان ذلك أول لقاء، واستغربت نفسها في طريقة كلامها، وفي استعمال ألفاظ قبيحة لم تكن تستعملها عادة، وكأنها تحاول (لعب) دور معين.. وكأنها تحاول أن تصدم نفسها قبل أن تصدمه.

لم يكن شخصًا تحبه، بل كان أحد معارف زوجها، ولدهشتها وجدت نفسها لا تشعر بشيء.. باردة ولا مبالية، وإن اصطنعت عكس ذلك..

لدهشتها وجدت نفسها تصطنع الرغبة تمامًا كما تفعل مع زوجها.. كان تمثيلها متقنًا لدرجة إن الرجل سألها عن الموعد التالي، ولكنها كانت في عالم آخر، متوترة ودائمة النظر إلى ساعتها.. إن الوقت الحالي هو الذي يعنيها، لقد تأخرت واقترب موعد خروج طفلها من المدرسة ولا يزال طريق العودة طويلًا..

وفي طريق العودة عندما ركبت عربتها عائدة إلى

المنزل، كانت تشعر أنها بائسة ومتوترة.. إن هذا ليس ما توقعته من العلاقة خارج نطاق الزواج، لقد توقعتها أكثر حرارة وبريقًا، ولكن المتعة كانت قصيرة جدًا ولحظية.. وشعرت أنها محاصرة، ولم تستطع الهرب منه عندما طلب منها موعدًا آخر.. أرادت بشدة أن تبكي ولم تستطع.. أنها ستعود الآن إلى الروتين والحياة اليومية، والتي حاولت أن تهرب منها ومن همومها في تلك العلاقة، وأن تجد بعض الإثارة في الحياة اليومية، وبدلًا من ذلك فأنها تشعر أنها محبطة وملوثة..

«ربما كان العيب فيَّ.. إنني لا أستطيع أن أشعر..»

وفى محاولة منها لإقناع نفسها أنها (ستتعلم) أن تشعر على يد رجل مجرب، استمرت في تلك العلاقة ستة أشهر، وكان أحد أسباب استمرارها هو خوفها من الرجل الآخر والحاحه المستمر.. ولكن كان إحساس التجربة لا يتغير، «الملل والإهانة»..

من حين لآخر كان يعطيها هدايا صغيرة حتى لا يلاحظ زوجها، وكانت تكرهها جدًا، لأنها كانت تشعر أنها تتلقى ثمنًا على خدمات تقدمها.. أحست أنه يشتريها بتلك الهدايا..

لم تشعر معه مرة واحدة بتمام النشوة، كانت دائمًا تشعر أنها مخدرة، بل وتدهورت علاقتها الجنسية أيضًا بزوجها، وصارت تتفاداه كلما استطاعت.

وانتهت تلك العلاقة بطريقة سيئة.. كانت أعصابها متوترة جدًّا، وأصبحت تتشاجر مع صديقها بنفس معدل تشاجرها مع زوجها.. وبدت عليه الراحة حين أخبرته أنها تنوي قطع علاقتها به، وصارت تتجنبه اجتماعيًا..

كانت تأمل أن حياتها عندها ستعود إلى سابق عهدها، أن تصبح أفضل وأكثر هدوءًا.. ولكن الإحباط والتعاسة صارا ملازمين لها، وأصبحت تنتابها نوبات اكتئاب وأصبحت عاجزة أكثر فأكثر عن التعامل مع زوجها وأطفالها..

فقدت الكثير من الوزن وأصبحت تعاني من صعوبة في النوم حتى أصر زوجها أن ترى طبيبًا، والذي أخبرها أن مشكلتها نفسية، وليست جسدية.. وتحت ضغط أهلها وافقت أن ترى طبيبًا نفسيًا.

ورغم صعوبة التواصل معها في البداية، لكنها لم تلبث أن تعاونت معي فور أن أخبرتها أني أعرف ما هي مشكلتها.. ولم يكن ذلك قراءة للغيب مني، ولكن ثمانون في المئة من الأزواج الذين أقابلهم لديهم مشكلة في العلاقة الجنسية.. تلاشت المقاومة ولم تكن بالنسبة لي مختلفة عن الكثيرات في مثل حالتها..

قد تبدو تلك الحالة غامضة للكثيرين.. فلو كانت هناك علاقة خاصة تربطها بذلك الرجل-العشيق- انجذاب جسدي أو عاطفي لكان هناك مبرر مفهوم لتلك العلاقة..

لكن لو حللنا تلك العلاقة لوجدنا الآتي:

- أنها لم تكن تشعر بانجذاب جسدي للرجل الآخر.

- لم يكن هناك تعلق عاطفي به.

- لم تحصل على إشباع عاطفي أو إثارة جسدية من تلك العلاقة.

- قبل تلك العلاقة كانت العلاقة الجسدية بينها وبين زوجها مرضية إلى حد ما، حقيقي أنها لم تحصل على إشباع كامل في أوقات كثيرة، ولكن هذا حال معظم النساء مع أزواجهن.

كانت علاقتها الشخصية -غير الجسدية- مع زوجها هادئة ومتزنة، لقد مر على زواجهما عشر سنوات توصلا فيها إلى صيغة من التفاهم سويًا.

بل ولقد اكتشفت خلال العلاج أنها تحب زوجها ولا ترغب في تركه.. بل وقالت في إحدى المرات أنها اكتشفت كم تحب زوجها بعد العلاقة مع الرجل الآخر.

لم تعطها تلك العلاقة شيئًا بل جعلتها أكثر تعاسة، ولكن كل من كان حولها كانوا يتحدثون عن مغامراتهم وعلاقاتهم، وما لم تكن تعلمه أنهم تعساء أيضًا..

مؤخرًا أثبتت كثير من الدراسات أن أحد الأسباب الرئيسية للانفصال أو الطلاق هو الخيانة من أحد الزوجين.. قد يحاول أحد الزوجين النسيان أو التسامح

ولكن السعادة تصبح بعيدة المنال وقتها، أيضًا إن الخيانة لم تعد قاصرة على سن أو طبقة معينة..

ولكن المأساة الحقيقية أن هؤلاء النساء نادرًا ما يجدن السعادة في تلك العلاقات بالإضافة إلى تدمير حياتهن الحقيقية.

المعيار المزدوج

عندما تكثر خيانة الزوج، سواء كانت علاقات حقيقية أو افتراضية عن طريق النت أو المحادثات، وتجد المرأة أمام ضغط المجتمع أو الضغوط المادية أنها مضطرة للتحمل وخاصة أمام وقاحة الزوج.. «أنا لن أتغير، تحملي».. «الرجل غير المرأة».. «خطأ الرجل لا يسبب ضررًا للأسرة».. تتملك المرأة عندها روح الانتقام.. وعندما تنتقم المرأة عن طريق الخيانة يصبح العشيق في تلك الحالة مجرد (رمز) ولهذا نادرًا ما تجد المرأة الإشباع الجنسي في تلك العلاقة، لأنها لا تمنح من نفسها شيئًا فيها..

المرأة لا تشدها العلاقات المؤقتة، ولا يمكن أن تحصل على الإشباع الجنسي بدون أن تكون متعلقة عاطفيًا بالرجل..

لأن المرأة عادة عندما تتعلق برجل -غير زوجها- عاطفيًا فإنها تريد الزواج منه.. المرأة لا تشدها العلاقات المؤقتة، ولا يمكن أن تحصل على الإشباع الجنسي بدون أن تكون متعلقة عاطفيًا بالرجل، وهذا ما لا يحدث في تلك الحالة، حيث تريد المرأة فقط الانتقام.

تجد المرأة نفسها تدعي المتعة مع العشيق، بينما هي واقعيًا لا تشعر بشيء.. حتى لذة الانتقام التي حركتها في البداية تحولت إلى إحساس رهيب بالذنب، وقد أصبحت الحياة المزدوجة تضغط على مشاعرها.. أصبحت تعيش كذبة،

لأن ما فائدة الانتقام إن لم يعرف هو شيئًا؟؟

ولكنها تعرفه جيدًا (الزوج)، لو اعترفت له فلن يستمر الزواج وقد يؤذيها أو يفضحها أو يأخذ منها الأولاد. وتأخذ القرار أن تنهي العلاقة وتعطي فرصة لزواجها.. وما يلبث القرار أن ينهار أمام أول علامة لخيانة جديدة من جانبه.. وفي نوبة غضب، وفي محاولة لجرحه تعترف له -وإن كانت بالتأكيد قد خففت العديد من الوقائع- وبعد فترة من الخصام والأذى، كلًا منهما للآخر، يعودان ويعطي كل منهما العديد من المبررات (البيت، الأولاد، الخسارة المادية)..

ولكن الحقيقة أن الزوج لا يغفر أبدًا الخيانة مهما تظاهر بعكس هذا، أو أعطى الكثير من الوعود أنه لن يفتح الموضوع مجددًا..

الحقيقة إن الزوج لا يغفر أبدًا الخيانة -رغم مطالبته ومطالبة المجتمع- للزوجة بغض النظر عن خيانة الزوج، لكنه لا يتسامح في خيانة الزوجة.

الحقيقة أن الزوج لا يغفر أبدًا لزوجته الخيانة..

وتحتمل المرأة بعدها خيانات الزوج، وتغض النظر عن محادثاته مع أخريات، وهي ترى في صميم نفسها أنها تستأهل العقاب.. وتصبح مجرد مسألة وقت قبل أن تعود لتنتقم مجددًا.

أحد الأسئلة التي تواجهنا كثيرًا تلك الأيام هو: هل

النهضة الحضارية قد أحضرت حقًا معها المساواة التي تتطلع إليها المرأة؟

فكثيرًا ما رأينا المعيار المزدوج للمجتمع، والذي يسمح للرجل بالخيانة ويرجم المرأة الخائنة.. نفس المعيار المزدوج نراه في عدم السماح للمرأة بالتعبير عن مشاعرها ورغباتها الجنسية الطبيعية ولو حتى في سرية غرف النوم.

حتى الآن لا تزال العديد من المجتمعات الشرقية تتعامل بذلك المعيار المزدوج، حيث يسمح للرجل بفعل أي شيء، وتكون المرأة «منحرفة».. وإن كانت الحقيقة أن الرغبة الجنسية الحقيقية نادرًا ما تكون سببًا في الخيانة الزوجية بالنسبة للمرأة.

وغالبًا لا يتحقق لهن الإرضاء الجنسي في تلك العلاقة (الخاطئة) ولكنهن لا يفهمن ذلك إلا بعد عدة جلسات من العلاج النفسي والمصارحة مع النفس.

قد لا يعجبها الرجل على المستوى الواعي، ولكنها غالبًا ما تشعر بالفضول، كيف سيكون الجنس مع رجل آخر؟ وهل ستختلف مشاعرها؟ وهل ستشعر أنها أكثر إثارة وجمالًا؟

تصبح كلمة (الفرصة) هي سيدة الموقف.. الخيانة لا تكون خطة عندها.. عندما تختار المرأة شريك الخيانة تصبح (الفرصة) هي العامل الوحيد في الاختيار، بعكس اختيار الزوج الذي يكون انتقاؤه بناءً على الوضع

الاجتماعي، الأمان المادي، التوافق الأسرى والقبول.

وهذا عكس تمامًا اختيار شريك الخيانة، وهذا يفسر لم قد تقع المرأة فريسة لشخص غير مناسب تمامًا فقط لأنه (متاح).. قد يكون السائق، مدرب السباحة، مدرس الأولاد..

الحقيقة الوحيدة أن الاختيار تم لأنهما (متاحان)..

يغتر الرجل الآخر لاختيار المرأة له معتقدًا أنها وقعت أسيرة لمفاتنه الرجولية، وتخدع المرأة نفسها أنه اختارها لجمالها وأنوثتها.. بينما الحقيقة الوحيدة أن الاختيار تم لأنهما (متاحين)..

الحقيقة أن كليهما، (الزوج والزوجة) ليس لديهما النضج النفسي الذي يسمح بالمغفرة -المغفرة الحقيقية- على أخطاء الماضي، قولًا وفعلًا، مع التعلم من المعاناة والأخطاء.

في الحالة السابقة لا يستطيع أحد أن يساعدهما، لأنهما غير راغبين في قبول المساعدة، أو في كسر دائرة الخطأ والانتقام. كلاهما أصبح سلاحًا لتدمير الآخر، وسيستمر في فعل ذلك حتى يقول الوقت كلمته في قوته وجمالها.

إنه لا يراني!

«كثيرًا ما تخيلت إنه لو دخل زوجي من الباب ورآني أسير على الحائط، أو واقفة ورأسي لأسفل وقدماي لأعلى، ما أثرت في داخله أي اندهاش، وبالتالي غنيّ عن الذكر أني مهما أطلت شعرى أو قصصته، جعلته أزرق أو أخضر، فلن يلاحظ..

- سألت.. فأجابوني: «إن الرجل يحب زوجته عاهرة في غرفة النوم»..

فلبست قميصًا يظهر أكثر مما يخفى وعليه إشارات المرور: «اتجه لليسار، منحنى على اليمين، الدخول من هنا».. فسألني وهو يتثاءب: «ماذا أعددت للعشاء؟»

- سألت.. فأجابوني: «قد تكون مشكلتك أن ملابسك عارية زيادة عن اللزوم، فلم تتركي للخيال دورًا»..

فلبست بيجامة عالية العنق، طويلة الكمين.. فمر بجانبي كأن لم يرني، وتناول (ريموت) التلفزيون وغفا أمامه كعادته كل ليلة، ولا بد أن نظرة الدهشة وخصلة الشعر تتدلى على جبهتي جعلتني أبدو بلهاء حقًا.. كنت يومها على مشارف سكتة دماغية أو زوجية أيهما أقرب..

- سألت فأجابوني: «راقبي زوجك، واعرفي ما يثيره وحاولي تقليده»..

راقبته وأدركت أن اللحظة الوحيدة التي يشعر فيها بشيء

يتحرك في داخله وهو يتفرج على مباراة كرة القدم.. فقررت أن أهاجم..

فتسلحت بكل أسلحة المرأة، وأخبرته أني لن أتركه الليلة إلا وقد أحرزت هدفًا.. ارتبك من جرأتي، ثم أخبرني بامتعاض أنه لا يقدر المبادرة في المرأة، وأن هذا يذهب بأنوثتي ويشعره أنه قد تزوج زميلًا له..

استسلمت وانطفأ شيء بداخلي.. حتى جاء يومًا وجاءتني مكالمة بالخطأ.. واعتذر الشخص، ثم أعاد المكالمة وطلب أن يعرفني، وأخبرني كيف أن صوتي قد أسره، وأثار خياله: «أتدرين كيف أراك؟ أتخيلك وشعرك يغطي وجهك وحمرة جميلة تملأه، وعيناك تنغلقان في خجل، وأنت ترفعين يديك لشفتيك في دهشة من جرأتي»..

أغلقت المكالمة في فزع، ولكني استعدتها كثيرًا.. كثيرًا في خيالي..

حاولت المقاومة، حاولت كثيرًا.. لجأت لزوجي لأستنجد به -بطريقة غير مباشرة- ولكنه صدني بفتور وبرود، بل وأخبرني أني غير طبيعية وسطحية، ولا يشغلني غير الجسد..

انهرت باكية ذلك اليوم، خاصة وقد هجر زوجي الفراش ليغفو علي الأريكة -مكانه المفضل- أمام التلفزيون كعادته.. ووجدتني أمد يدي إلى الهاتف لأسمع صوت الرجل الآخر.. استمع إليَّ بحنان واهتمام، أخبرني كم أن

زوجي محظوظ لأنه تزوج امرأة شديدة الأنوثة مثلي، كنت أشعر بكلماته تحتضنني، وهو يعيد لي كل أحلام الحب والمراهقة..

صرت أكره زوجي وأتجنبه، بل وأكره أن يراني في ملابس غير محتشمة، كنت في تلك الأيام أكاد أطير من السعادة كلما كلمت (الآخر)، وأنا أشعر أن حياتي قد اتزنت..

كنت أعيش حياة مزدوجة.. كل منهما ليس له علاقة بالآخر.. كنت أشعر بالأثارة وكأني فتاة مراهقة تتسلل مساءً لترى حبيبها..

فهل كان غريبًا أني أول مرة قابلته فيها مارست معه الجنس؟؟ لم يكن غريبًا بالنسبة لي، فلقد شعرت بحنانه، بأحضانه، بصوت أنفاسه على الهاتف.. وصار اللقاء الجسدي مجرد وقت..

كانت الأزمة الحقيقية في مشاعرها.. أحست أنها قد وقعت أسيرة لدورها كربة منزل، أم، طباخة، مربية أطفال.. بدأت تشعر أن عمرها يتقدم.. وأن جمالها الذي طالما أدار الرؤوس بدأ يقل، خاصة وأن زوجها قلما يطري مظهرها، أو جمالها تلك الأيام.. لم تكن لديها ثقافة خاصة أو فكر يحميها.. وغالبًا ما كانت تستقي معلوماتها من برامج التلفزيون أو مواقع الموضة، وأصبح وجودها نفسه يعتمد على محافظتها على جمالها.

بالرغم من أن قليلًا من الناس قد لا يدركون ذلك لكن المرأة هي عادة من تعطى الإشارات الأولى.. ليس هذا اتهامًا.. الإشارات الأولى ليست فقط علامات الموافقة على اهتمام الرجل الآخر بها، ولكن قد تكون أيضًا الإشارات السلبية التي يبعثها جسدها ووجهها: «أنا لست سعيدة».. «أنا متزوجة، ولست كذلك».. «أنا بحاجة للاهتمام.. هل تراني؟؟»

تلك هي الإشارات التي عادة ما يقفز الرجل (الذئب) لالتقاطها.. في أي علاقة خيانة غالبًا ما يكون الرجل حذرًا، مترقبًا.. بغض النظر كان عازبًا أو متزوجًا.. فإن معاملته لأية امرأة متزوجة تكون عادة حذرة جدًا.. إنه يتبع سياسة: «عدم اللمس».. ولكنه قد يبدي بعض الإشارات التي قد تبدو عرضية أو غير مقصودة.. حتى يتبين موقفه من المرأة.

ثم تأخذ المرأة المبادرة.. لو كانت مستعدة للعلاقة فإنها تعطى إشارات الموافقة.. كل رجل (ذئب) يعلم أن النساء المتزوجات يمررن بلحظات يحتجن فيها للشعور بأنوثتهن، ويحتجن إلى دفعات من الثقة، أو يحاولن إثارة غيرة أزواجهن عن طريقة أن يجعلن رجلًا آخر يبدي إشارات الاهتمام بهن.

وذلك يعنى أن اللعبة أغلبها تكون بأيدي المرأة، وغالبًا ما يكون الرجل الآخر في وضع انتظار حتى تأخذ هي المبادرة.

النظرة العارية

أنا امرأة متحررة، لا أرى أنه يجب أن أغطى جسدي المثالي.. أفخر بمنظري وشعري.. ويعجبني كثيرًا حين أدخل أي مكان فأرى أنظار الرجال تغطيني..

وتزوجت.. وحين طلب مني زوجي أن أكون أكثر حشمة في ملابسي، وأخبرني أنه لا يحب الطريقة التي ألفت بها أنظار الرجال، كانت تلك أكبر المناطق التي تجادلنا فيها، وأكثر معاركنا ضراوة، ولكن غنيٌّ عن الذكر أنني كالعادة انتصرت.. لقد كان يحبني كثيرًا، وأخبرته أني لن أسمح له أن يأمرني، وأن رأيي منبعه رأسي.. وأخبرته أنه كان لا بد أن يختار فلاحة كأمه ولا يتطلع إليّ حتى لا تؤلمه رقبته.. سكت هو يومها اتقاءً للمشاكل، (ولساني الطويل).. وكم احتقرته يومها.

أحيانًا كثيرة كنت أستمتع بإثارة إعجاب الرجال، بالملبس، بالضحكة وبالنظرات.. وكنت أتعمد أحيانًا أن يراني.. وحين يثور غاضبًا، كنت أعلم تمامًا كيف أهدئه.. إنه كالطفل الصغير، ما عليّ إلا إعطاءه لعبته المفضلة، وأنفخ حينها كبرياءه قليلًا، وأشعره أنه سيد الرجال.. وكم أستمتع وأنا أرى كبرياءه ينتفخ، ثم -وبمنتهى القسوة- أكسره في دقيقة أخرى.. حتى لا ينسى فقط من هو القائد في البيت.

حلمت دومًا بالرجل الذي يخبئني خلفه، وهو يواجه

عصابة من الرجال تسعى لخطفي.. يحطمهم ويلقيهم أرضًا، ثم يأخذني للغذاء..

لست أدرى كيف انتهى ذلك الحلم بتلك المأساة التي أعيشها.. تلك المأساة التي يسمونها رجلًا.. مائعًا، ضعيفًا، يتلقى كل انتقاداتي وأوامري بابتسامة..

لن أنسى حين كنت بجواره في العربة، وهو يلف كثيرًا بحثًا عن (ركنة).. وحين وجد مكانًا منعه طفل لا يتعدى الخامسة عشرة، وأمره أن يذهب بعيدًا، فمشى دون كلمة.. استشطت غضبًا وأخبرته، بل صرخت فيه أن يضربه.. وبابتسامة باردة قال: «إن الموضوع لا يستأهل معركة».

فهل يلومني أحد إن أحببت رئيسي في العمل.. كان رجلًا جبارًا، لا يعرف الابتسام.. طاغية لا يحب التفاوض، لا يعرف في الحياة إلا طريقًا واحدًا.. طريقه.. فلم يكن غريبًا أن أقع صريعة في هواه.. كنت أتابعه بعيني في انبهار.. وأبحث عن حجج لدخول مكتبه.. حتى وجدتني يومًا أقول بصوت عال: «أنا أحبك كثيرًا».. لم أدرك إلا بعد فوات الأوان أني قد قلت تلك الجملة بصوت عال، إلا عندما قام مسرعًا وأغلق الباب.

- قال لي (بصرامة): «أتدرين ما يعنى ذلك؟ ليس لدى ما أقدمه لك».

- قلت: «لا أريد شيئًا إلا أن أكون إلى جوارك، قل لي

على الأقل أنك تحبني»..

- قال (ساخرًا): «ألم تتعلمي خلال تلك الشهور شيئًا؟ أنا لا أتفاوض، أنا لا أقبل إلا الخضوع دون قيد أو شرط».

ذاهلة الأنفاس، وافقت وخضعت وأعطيت.. كل شيء..

في مجتمع اليوم حيث تتجه الموجة العامة إلى الإباحة، وتصبح المرأة معرضًا لأحدث الأزياء والمكياج، وأصبحنا نرى التحول في الذوق العام، ومع طفرة الاتصالات لم يعد الرجل مضطرًا إلى بذل المجهود لإغراء المرأة، أو البحث عن علاقة.. في عالم اليوم صار كل شيء متاحًا.

ومع نوعية النساء التي ترى في نفسها عرضًا عامًا، أرى نوعًا يشعر بالإهانة إن تعرضت للتحرش، ونوعًا آخر يشعر بالإهانة إن تعرضت لعدم الاهتمام.

هنا أريد توضيح أني لست مع التعميم، وضد أن تتعرض المرأة للمضايقات، ولكني أوضح فقط أنَّ كلًّا منَّا مسئول عن الرسالة التي يقوم بإرسالها.. فإما أن أكون مستعدة لمجاراة الرجل، أو أكون قادرة على الدفاع عن نفسي.

إنه موضوع محير حقًا! أين الخطأ هنا؟؟ لقد شهدت العصور القديمة أوقاتًا كانت المرأة ترتدى ثيابًا تفضح شكل الجسد، المرأة في الرسومات الفرعونية كانت تهتم بالثياب الكاشفة ومكياج الوجه والعينين.

في اليونان وروما القديمة كان القانون يفرض على العاهرات ارتداء ألوان معينة ليستطيع تفرقة المرأة الشريفة عن العاهرة، وبذلك يستطيع الرجل أن يعرف موقعه من المرأة.. بملبس معين يعرف الرجل أنها متاحة لخدمته.. وذلك لم تعد الحالة الآن.. لم أصبحت المرأة اليوم تتعرض للإساءة أكثر بسبب ملابسها؟؟

أصبحت هناك حالة من فقدان السيطرة، أحدهما من جانب المرأة، حيث صار الوضع أكثر صعوبة مع حركات تحرر المرأة وصعوبة فرض السيطرة عليها في ملبس معين من جانب زوج، أب أو أخ..

والرجل من الناحية الأخرى صار قرار التزامه في علاقة جدية -الزواج- أصعب نتيجة للضغوط المادية، فصار أكثر اتجاهًا إلى العلاقات الحرة التي لا تفرض عليه قيودًا خاصة مع المرأة المتزوجة وتوجهه في ذلك الإشارات التي تبعثها المرأة ومنها طريقة لبسها لأنها أقل قابلية من غير المتزوجة في فرض قيود عليه، أو فرض التزامات بل وأكثر حرية في العطاء.. المادي والجسدي.. مع ميلها الطبيعي للتكتم.. ويستطيع دومًا إن طالبته أن يتزوجها أن يرمى في وجهها القنبلة التي لا تخيب: «لقد خنت زوجك، فكيف أئتمنك أن لا تفعلي المثل معى؟؟»

ولكن البحث عن تفسير للانحدار الحاد في الأخلاق في يومنا هذا لا بد أن يكون أكثر عمقًا من طريقة ملبس فقط.

البحث عن تفسير للانحدار الحاد في الأخلاق في يومنا هذا لابد أن يكون اكثر عمقًا من طريقة ملبس فقط.

أعتقد أن السبب الحقيقي يكمن في البيوت المحطمة.. أم مضغوطة وأب غائب.. ولا يمنع أن يكون أحدهما، (الأب أو الأم) في علاقة خارج إطار الزواج أيضًا.. كيف يربي هؤلاء الآباء أبناءهم؟ ليس فقط الرسائل الغائبة.. بل وأيضًا الرسائل الخاطئة والمختلطة التي تبعثها علاقة الأب والأم للأبناء.

في خلال الحوار مع المرأة السابقة، كان هناك غياب واضح للذنب في الكلام، وأيضًا غياب لمبدأ الإخلاص في العلاقة الزوجية كدعامة أساسية لاستمرارها.. كان من الواضح أيضًا قلة اهتمامها بالأخلاقيات أو الدين.

بلا جدال إن كل حالة من الخيانة تتأثر بالعوامل الشخصية وبشخصية الزواج نفسه، والصراعات التي تؤدى للخيانة.. ففي الحالة السابقة كانت النزعة النرجسية واضحة في الشخصية، كان إعجابها بجسدها مبالغًا فيه، وكانت ترى إعجاب الرجال بها ضرورة لبقائها. كانت تحتقر أيضًا أية امرأة يتأثر جسدها بالحمل أو الولادة أو تكتسب وزنًا، وكانت ترى نفسها خسارة في أي رجل.

بلا جدال أيضًا إن علاقتها بزوجها وعدوانيتها الشديدة تجاهه، كانت السبب المباشر في تلك الخيانة، كانت بطريقة ما تعاقبه لأنه تجرأ ووجه إليها انتقادًا، فيما يتعلق

بشكلها ومظهرها.

شخصية شريك الخيانة في تلك الحالة (غير مهمة).. أي شخص يوجه لها الاهتمام الكافي وهي في مرحلة تحدٍ مع زوجها ستستجيب.. وبالتالي أنا أشك أن أي زواج لها سيدوم إلا لو قررت تغيير أسلوبها في الحياة.. وغالبًا هذا الزواج قائم لأن الزوج من الضعف الذي يجعله يسامحها ويغض النظر عن أي سلوك مشابه قد يجعله يشك فيها.. وإن كانت حالة الضعف هذه تزيد من احتقار الزوجة له وبالتالي المزيد من الخيانة.. غالبًا هي من ستترك هذا الزوج وتأخذ رجلًا آخر بمثل هذه الشخصية الضعيفة ليحتمل سلوكها.

نادرًا ما تجد تلك المرأة السعادة.. بل أعتقد أنها غير قادرة على فهم معنى السعادة الحقيقية.. سعادتها الوحيدة في الحفاظ على جسدها.. ولكن الزمن كفيل بأن يهدر معالمه.. وكلما ازدادت في العمر كانت علاقاتها أسرع، وكان ثوبها فاضحًا أكثر كمحاولة منها لإثبات أن الرجال لا يزالون يجدونها جذابة..

للأسف.. أي من هذه العلاقات لن تعني لها شيئًا جسديًا ونفسيًا.. لأن كل اهتمامها بنفسها فقط، تحب نفسها فقط، ولا تجد وقتًا لشخص آخر.. إنها تستعمل الجسد للحصول على الإعجاب ولن تدرك أبدًا أن الجنس هو عمل مشترك للوصول للذة مشتركة.. حتى لو صار عندها أطفال سيكون جل اهتمامها أن تبقى شابَّة، وتخشى -

حتى الموت- فقدان جمالها.. وغالبًا ما تترك مجهود العناية بهم لأمها أو أم الزوج، بل وتتجنب الظهور معهم حتى لا يعرف عمرها الحقيقي.. غالبًا ما ستخفي دبلة الزواج وتدمن عمليات التجميل حتى القاسي والمتطرف منها..

الجنس هو عمل مشترك للوصول للذة مشتركة..

أعماق الجحيم

هناك نزعة نرجسية داخل كل امرأة حيث تسعى كل امرأة لإبراز أقوى نقاط جسدها.. وتستمتع بعبارات الإطراء والإعجاب.. وهذا لا يعنى أبدًا أنهن مشروع خائنات.. بل وكثير من الأزواج يخترن أزواجهن لهذه النقطة بالذات وكأنهم يقولون: «تلك المرأة الرائعة، الجميلة.. ملكي أنا».. ولكن بلا جدال حتى لو كانت تلك المرأة عالية القيم والأخلاق ومخلصة لزوجها فإن تلك النزعة تستدعي المتاعب.. ستستدعي عداء كل امرأة أخرى، سيتمناها كل رجل، وسيرفضها كل زوج..

«كنت أحب زوجي.. ولم يمنعني ذلك أن أكون على علاقة برجلين في آن واحد.. كلاهما يعتقد أني أحبه، وكلاهما لا يعرف بوجود الآخر.. والواقع أني لا أهتم بهما معًا أبدًا.. وأخشى حتى الموت أن يعرف زوجي، لأنى كنت واثقة أنه سيطلقني ويفضحني أمام كل من أعرفه..

كنت أشعر طول الوقت أني بلا قيمة، وبالذات بجوار زوجي المشهور والأكبر منى بحوالي عشرين عامًا.. كنت أشعر أني رخيصة، وأعلم أن جميع من حولى ينتقدونني لطريقة ملبسي، ويطمعون في زوجي، الذي يبقيني فقط لجواره كأي تحفة غالية تكمل مظهره الاجتماعي..

اعتدت أن يوجه إليَّ الرجال تعليقات، وأحيانًا لمسات.. كنت أكره ذلك ولكني لم أحاول قط إيقافه، بل وكنت

أقلق كثيرًا لو لم يحدث، وتنتابني حالة من الإحباط والاكتئاب الأسود.. ويتملكني الخوف أني فقدت سلاحي الوحيد..

كلتا العلاقتين حدثتا بالصدفة.. صديق لزوجي خدعني باهتمامه، وبكلمات معسولة حتى بعثت له صورة عارية لي.. وبدأ من ساعتها في ابتزازي أنه سيخبر زوجي لو لم أكمل العلاقة.. وفعلت..

العلاقة الثانية كانت سطحية أكثر.. لأنى رأيت نفسي وقد أصبحت رخيصة جدًا، ولا شيء سيفرق بعدها.. ولم أدر أني مهما سقطت فلن أستطيع أبدًا أن أصل لقاع الجحيم.. العلاقة الثانية كانت مع (صاحب محل).. نعم.. لهذه الدرجة انحدرت.. صاحب محل اعتدت الشراء منه، كنت أبغضه، وأكره منظره، وأحتقر نفسي كلما اقترب مني، ولكن.. نعم.. هذا ما أستحقه..

والغريب أني كنت أحب زوجي جدًا، بل وعلاقتنا الجنسية معًا كانت رائعة.. وكنت أبكي في كل مرة وأنا أتمنى لو مت في هذا الوضع المثالي.. حيث كنت أشعر أني محبوبة ودافئة..

عندما تتعقد القصة هكذا «أبحث دومًا عن البدايات»..

أين مفتاح تلك المأساة، وهذا الجنون؟؟

عندما تتعقد القصة هكذا «أبحث دومًا عن البدايات»..

عندما جاءتني عرفت من حكايتها ما يلي..

إن الأم كانت جميلة، متسلطة، نرجسية -بلا جدال- وكانت دومًا تستمتع عندما يعلق أحدهم بأنها أكثر جمالًا من ابنتها والتي كانت غالبًا لا تراها ولا تشعر بوجودها..

بينما الابنة -على الجانب الآخر- كانت تعبد الأم مما كان يجعلها تغض النظر عن خياناتها المتكررة للأب، الذي كان غالبًا دائم الغياب، بل وغالبًا ما كانت الأم تأخذها معها لمواعيدها المتعددة مع (أصدقائها) الرجال..

وعندما يظهر الأب أخيرًا فإنه يغمرها بذلك النوع من الحب السطحي الذي نادرًا ما يحدث فرقًا فيغرقها بالهدايا.. كانت الأم دائمة العقاب لها بالضرب المفرط خاصة في وجود الأب لغيرتها أن يأخذ منها أي أحد -ولو كان ابنتها- الاهتمام..

وهكذا اجتمعت جوانب اللغز..

لقد ترسخ في وجدان الفتاة أن الخيانة قد تحدث، ومع ذلك يستمر الزواج.. كانت تحب وتكره أمها في آن واحد.. كانت معجبة بها حتى الوله، وتكره حتى الموت إحساس الكره وعدم الثقة الذي تزرعه داخلها كلما رأتها -أو بالأحرى- كلما «لم ترها»..

ونتيجة للإهمال الذي تعرضت له في المنزل كان اهتمام الجنس الآخر يسبب لها الكثير من الإشباع، ونتيجة لمثال الأم لم تجد في ذلك خطئًا كبيرًا..

كانت في داخلها تحمل صورة تلك الفتاة الصغيرة غير الجذابة -البطة السوداء- ولذلك كانت دومًا حريصة على إظهار مناطق جمالها.. وفي نفس الوقت خائفة حتى الموت أن تضيع تلك الجاذبية..

وبنفس الأهمية، دور الأب الذي كان -غالبًا- غائبًا.. إلا لو عاقبت الأم الفتاة فعندها يوليها الأب اهتمامًا زائدًا، ويغرقها بالعاطفة.. فاقترن العقاب بالعاطفة داخلها.. حتى في ممارستها مع زوجها كانت لا تشعر باللذة، إلا لو اختلطت بالألم وكأنها تقول لنفسها: «أحبني والدي فقط عندما كنت أعاقب، ولن يحبني أحد أبدًا إلا بتلك الطريقة»..

ونتيجة لانشغال زوجها عنها (مثل الأب)، وغياب المشاحنات (العنف/العقاب)، أصبحت غير واثقة في حبه.. فأصبحت تبحث عن بديل له حتى مع اقتناعها أن ما يشغله عنها هو العمل.. لم توفر لها العلاقات بعدها أي تعويض.. بل -على العكس- أصبحت تملأها أحاسيس الذنب والاحتقار لنفسها، تمامًا مثل شعورها تجاه والدتها عندما كانت تكتشف خياناتها.. ويجتمع داخلها شعوران متناقضان حتى الجنون: «الحب والكره»..

العلاقة الثانية مع صاحب المحل كانت متعمدة.. كانت تقول لنفسها: «لقد أصبحت عاهرة، وهذا ما تستحقينه.. اغرقي في الوحل أو إلى أعماق الجحيم.. لن يهتم أحد..»

عندما جاءها ذلك القدر من الوعي مع العلاج، أحست أنها لا تستطيع الاستمرار مع زوجها بدون أن تعترف له بكل شيء.. أحست أن الاعتراف سيطهرها بغض النظر عن عواقبه، وفعلت..

مصدومًا طلب منها زوجها أن يقابلني -الطبيب النفسي- حيث شرحت له الصعوبات النفسية التي واجهتها أثناء نشأتها.. وطلبت منه ألا يسارع في القرار، فأمامهما بلا جدال فترة صعبة..

لو لم تلجأ للعلاج في تلك الفترة لكانت -بلا جدال- انحرفت إلى علاقات كثيرة بلا معنى.. ولقضت تمامًا على صحتها وعلى زواجها..

الذنب هو واحد من أقوى المشاعر التي تقضى على الإحساس بالجنس.. ولكن اللامبالاة هي الحليف الأقوى للخائنة.. حيث لا يستطيع المخ التعرف على إحساسين متناقضين في نفس اللحظة..

اللامبالاة هي الحليف الأقوى للخائنة..

فغالبًا أثناء لحظة الخيانة ما تملأها مشاعر الخوف مما يفقدها القدرة تمامًا عن أي استمتاع.. بينما اللامبالاة هي التي تجعلها تستمر في العلاقة.. ولا أريدك أن تفهم خطئًا -اللامبالاة- هنا بأنها (بجاحة) أو تهور.. بل هي أقرب إلى اليأس الذي يجعلها تنخرط أكثر فأكثر في العلاقة وكأنها الرمال الناعمة التي تسحب أقدامها وتغرقها أكثر

فأكثر.. فأصبحت (لا تبالي) بحياتها ببيتها، إنها تطارد الرجل الآخر أكثر فأكثر، تهمل نفسها وبيتها وأطفالها أكثر فأكثر.. وتصبح تلك اللامبالاة هي قاتلتها فعليًا أو روحيًا..

الحب في النافذة المقابلة

النقلة الحضارية التي حدثت في السنوات الأخيرة، ثورة تكنولوجيا المعلومات، ودخول الإنترنت إلى حياة الناس قد أحدث تأثيرًا مروعًا، لا أعتقد أنه قد أُعْطِيَ حقه من البحث والمناقشة حتى الآن..

وأعتقد إن تحدثت في مجالي -الطب النفسي- أننا كأطباء نفسيين أو معالجين نلمس ذلك التغيير الذي أحدثته الثورة التكنولوجية في حياة الناس، بل ولا أبالغ إن قلت أنه أحدث صورًا جديدة للمرض النفسي لم نواجهها قبلًا..

أصبحنا نرى لها ظلالًا في كل نافذة، وفي حياة كل أسرة، بل وفي جلسة العائلة في المطعم، وفي كل شكوى للآباء من أبنائهم، وللأزواج من بعضهم.. وبغض النظر إن كان هذا الكلام حقيقيًا ومبررًا أم لا.. دقيقًا أومبالغًا فيه أم لا.. فالتاريخ وحده، والتجارب ستثبت صحة ما أقول..

أسئلة كثيرة تواجهنا مثل: «هل الحياة في المدن في حد ذاتها سببًا في الخيانة؟ وهل لا يحدث هذا في الريف؟؟ وهل الانتقال من الريف إلى المدينة يحدث اضطرابًا سلوكيًا ويعبث في منظومة الأخلاق؟؟».. وفي الفيلم الخالد «شباب امرأة» مثال يصلح لكل زمان..

بمعنى: «هل ينتقل الإنسان بأخلاقه من الريف إلى المدينة؟ أو هل يتطبع بأخلاق المكان الجديد؟ وبالمثل إن

هاجر شاب من الشرق (بأخلاقه المزعومة) إلى الغرب حيث إباحة كل شيء، أيهم سيكون أكثر تأثيرًا؟؟»

في رأيي أن كلاهما له تأثير.. الطبعة الأخلاقية، والحياة من حولنا بإحباطاتها وشروطها حيث الزوج مشغول دائمًا بوظيفة أو أثنين.. وبخلفية الرجل الشرقي حيث الزوجة مسلم بها فلا يبذل مجهودًا لكسب ودها، وتصبح (أم العيال)، ومن حين لآخر لمسة لطيفة حين يريد جنسًا فقط..

عندما تصبح المرأة قلقة غير مرضية، هل غريب حينها أن تبحث عن مهرب؟

تصبح المرأة حينها قلقة غير مرضية.. لديها إحساس بالأسر، وشعور دائم أنها قد خُدعت.. «ليس هذا ما اتفقت عليه، أو ظننته في الزواج».. أضف لهذا لو كان الزوج يبرر لنفسه الحديث مع أخريات تحت اسم العمل أو الصداقة، وينكر هذا عليها.. هل غريب عندها أن تبحث المرأة عن مهرب؟ عن شخص يسمعها ويهتم بها ويعرف تفاصيلها؟

لا، ليس غريبًا.. ولكن المشكلة أنها تدرك بعد فوات الأوان أنها انتقلت إلى قفص آخر..

القصة المعتادة، يذهب الرجل إلى العمل في الصباح، ولا يأتي إلا في الساعات الأخيرة من الليل للأكل، أو الجنس، أو النوم.. أيهما يأتي أولًا.. تاركًا وراءه زوجة

وأولادًا في رقبتها..

ومع الوقت تجد أنها أصبحت آخر أولويات ذلك البيت.. قليلة هي كلمات التقدير والثناء مهما فعلت.. ولا شيء مما تفعله يعود عليها بالفرحة.. يجب أن تنظف المنزل، توصل الأولاد إلى المدارس أو التمرين أو الدروس.. تشترى مستلزمات المنزل، وفي وسط كل هذا قد تكون امرأة عاملة.. يجب عليها منافسة زملاءها الرجال (غير المطلوب منهم أي من ما عليها)..

مع الوقت تنتهي حياتها الاجتماعية.. تبتعد عن أصدقائها، والأهل في الأعياد القومية فقط.. وتنظر إلى نفسها -صدفة- في المرآة فتجد امرأة شاحبة تملأ وجهها خطوط الإرهاق، والضغط، والسن.. تنظر إلى نفسها في المرآة فلا يعجبها ما تراه.. وتشعر فجأة وكأن عمر البطاقة وقد أضيف إليه -عنوة- عشر سنوات.. فهل غريب عندها أن تبحث المرأة عن مهرب؟؟

تجد المرأة عندها نفسها تراكم الإحباطات، تزداد المشاكل، ويعلو الصراخ في المنزل.. ويزداد الضغط على الرباط الزوجي.. وتبحث عندها عن مهرب في أي نافذة.. نافذة زجاجية تفتح آلاف الاحتمالات.. هاتف، لاب توب، أو حتى تابلت الأطفال..

تخشى المرأة عندها من افتضاح أمرها، إنها كل يوم تنشأ حسابًا جديدًا، وتلغيه.. وتعيد إنشاءه في اليوم التالي.. إنها

تحن -حتى الموت- للمسةٍ حنونٍ، لشخص يُسمعها أنها لا تزال جميلة.. وأمام شاشة الكمبيوتر أو الهاتف الذكي تبدأ البحث، وغالبًا ما تجده عند رجل هارب هو أيضًا من زوجته.. والغريب عندها هو قدرته على إعطاء امرأة غريبة ما يحرم منه زوجته.. وكأن نفس ذات الرجل الذي يقول لزوجته (مقتضبًا وبتكشيرة): «لا أعرف أن أعبر عن الحب بالكلمات».. يصبح فجأة (عندليب الدقي) حتى يثير اهتمام المرأة الغريبة عنه في النافذة الإلكترونية المقابلة.. ويصبح لديه -فجأة- وقتًا كي يستمع باهتمام وتفهم لمتاعب المرأة (الأخرى)..

وتلف الدائرة..

والغريب أن مع بداية العلاقة تتحسن الحياة الزوجية لإحساس كلًا منهما بالذنب، وبخطئه في حق زوجه، فيصبحان أكثر لطفًا وكرمًا.. ويصبح ذلك في حد ذاته مبررًا لاستمرار العلاقة، «لقد أصبحت زوجة أحسن.. لقد أصبحت أتحملهم أكثر».. ويستمر شيطاني الداخلي في تزيين تلك العلاقة لي.. «إنه يعطيني الاتزان النفسي الذي أحتاجه.. أليس لي حق في هذه الحياة أن أجد من يسمعني ويهتم بي؟ خاصة وأنا لا أؤذي أحدًا بتلك العلاقة»..

ويصبح وكأن الجميع فائزين في ذلك المثلث الجهنمي.. ولكن تلك هي البداية الخادعة فقط، فسرعان ما يجتاح المد الجميع..

تكون البداية: «ليست لدى نية للخيانة.. أنا أتكلم فقط»..

انتقلنا إلى شقة جديدة.. وكان هذا ما انتظرته طوال سني زواجي، بل وكنت أكره زوجي سرًا لضعف إمكانياته، وعجزه عن تحقيق أحلامي.. ولرميي تحت رحمة عائلته في (بيت العيلة)، ولكني وافقت مسرعة في البداية حتى أفر من تحكمات أهلي..

تكون البداية: «ليست لدى نية للخيانة.. أنا أتكلم فقط»..

استمررت أضغط عليه حتى وافق مكرهًا على الانتقال إلى شقة أوسع، وإن كانت تضع عليه ضغوطًا تزيد عن احتماله.. واضطر للعمل في وظيفتين ليتمكن من الوفاء بالأقساط.. في البداية كدت أموت فرحًا، ولكن مع الوقت انطفأت تلك الفرحة، وأنا جالسة وحدي طوال اليوم لا أجد من يشاركني أي شيء..

لم أشعر أن زواجنا في خطر، إلا عندما -يومًا بعد يوم- رأيت نفسي كيف أضعف أمام أي نظرة وقحة تتأملني، أو كلمة مغازلة.. بل وفي مرة نزلت وحيدة إلى مقهى، وأنا أنوي أن أكلم أي رجل.. أي رجل ينظر إليّ.. بل وكدت أقوم وأكلم رجلًا يجلس وحيدًا.. لكني في آخر لحظة فررت هاربة..

وعرفت ساعتها أني لست قوية لمواجهة ذلك الضغط، لم أعد أستطيع احتمال الوحدة وخاصة وقد تأخر الحمل دون وجود سبب حقيقي -عند أينا- يمنعه.. ولكن كان الأوان

التراجع قد فات.. لا أستطيع التراجع الآن وأن أخبره أن لا يتركني وحيدة.. لا استطيع أن أخبره أني أريده بجانبي وقد أصبح مثقلًا بالديون..

فهل كان غريبًا أن أبحث عن مهرب في النافذة المقابلة؟ أنشئت حسابًا وهميًا على فيس بوك، واخترعت شخصية وهمية وصرت أتعرف كل يوم على رجل، أحكي له حكاية جديدة كل مرة.. فمرة أني لا زلت في الجامعة لأني أحتاج أن أعمل بجوار الدراسة، ومرة أني مطلقة لرجل كان يسيء معاملتي.. ومرة أنا مريضة بالسرطان أو القلب فامتنعت عن الزواج حتى لا أظلم أحدًا معي.. وأعيش قصة خيالية أنا وحدى من أملك خيوطها.. وأستمتع حين يتعلق من أمامي بي.. وحين يسألني اللقاء أختفي.. فمن البداية، ليست لدي نية للخيانة.. أنا أتكلم فقط!!

فلم يكن غريبًا والحال هكذا أن أمر بتقلبات مزاج عنيفة، حسب موقعي في القصة التي اخترعتها.. هل في البداية؟ حيث الاهتمام مبالغ فيه، حيث أنا أحكى ومن أمامي يسمع ويهتم ويدلل..

أم في الوسط؟ حين تبدأ اللعبة، لعبة الشد والجذب، حين يطلب من أمامي الثمن.. ثمن الاستماع، ثمن الاهتمام.. حين تبدأ لعبة التمنع والخصام.. والتي تكون من أهم قواعدها «إن من يضعف أولًا يخسر».. ولكن لأن لديّ الأفضلية، أفضلية السبق والمعلومات.. فكنت نادرًا

ما أخسر.. ثم تأتي النهاية!! حين يطلب اللقاء أو يصر على الثمن فأختفي..

أصبحت أيضًا بعد أن كنت أمل من الأيام الطويلة الخاوية، لا أدرى أين يذهب الوقت؟ فطوال اليوم أنا مسمرة أمام الشاشة..

أهملت البيت، نادرًا ما أطبخ، أنام في أوقات خاطفة، أتسلل من جانبه ليلًا، لأستأنف المحادثة.. أصبحت أكره لحظة دخول المفتاح في باب الشقة إيذانًا بحضوره، لأنه يعني انقطاع حلم اليقظة الذي أعيشه.. وكأنه جرس منبه مزعج ينتزعني من الحياة الأخرى التي أعيشها.. أصبحت أفتعل المشاكل معه، حتى أجد حجة لأنام بعيدًا عنه.. وأستأنف المحادثة.. مع الوقت صرت أكره القفص الذهبي الذي أعيش فيه، والذي طالما حلمت به..

حاولت أن أوقف نفسي عدة مرات، بل وحاولت إجبار نفسي أن نسافر بعيدًا، بعيدًا عن كل شيء.. ولكني وجدت نفسي أغرق في الاكتئاب الأسود بعيدًا عن نافذتي.. شاشة الكمبيوتر.. وافتعلت معه مشكلة كبيرة حيث اتهمته أنه ينظر للنساء الأخريات أمامي، وعبثًا حاول الدفاع عن نفسه أنه كان سارحًا في الفضاء ولا شيء في ذهنه.. ولكني سببت له فضيحة كبيرة في الفندق وصممت على المغادرة فورًا.. حتى أتمكن من العودة إلى نافذتي الزجاجية.. وعدنا فورًا وأنا يملأني إحساس فظيع بالذنب والذي دفعني (لمسامحته) فور أن تأكدت أننا على

الطريق عائدين..

لم أخطط للوقوع.. في الحب.. أو هذا ما ظننته حينها..

كنت قبلًا المتحكمة في أية علاقة أدخلها، وكنت أفخر بذكائي في الهرب في الوقت المناسب.. كنت أفخر بقدرتي على نصب شباكي، والفرجة على ضحيتي وهو يتخبط غير مدرك من أين جاءته الضربة..

رأيت الكثير.. رأيت رجلًا يستمتع باللعبة ولا مانع لديه من الانتظار.. ورجلًا غاضبًا يسمعني كلمات جارحة حين يدرك اللعبة.. ومهما تظاهرت بالذكاء فلقد طالتني العديد من الإهانات، وسمعت كلمات لم أظن قط أني قد انحدر لهذا المستوى فتطالني.. ولكني تحملت كثمن للعبة..

حتى صادفت من هو أذكى منى.. أو بالأحرى (النصاب الأكبر).. رجلًا لم أجد به خطئًا.. مثقفًا، يتكلم العديد من اللغات، رجلًا عركته الحياة، سافر إلى كل بقاع الأرض تقريبًا، غنيًا بدرجة كبيرة.. شاهدت صورته، أقرب إلى الممثلين، وبه درجة من النضج والشعيرات البيضاء التي تضعفني.. لم أقل له أني متزوجة، خشيت أن يحتقرني.. كان رجلًا عصريًا.. طلب منى كل شيء بعد مرة أو مرتين من المحادثة.. كان يقول أنه يستطيع أن يحصل على أية امرأة يريدها.. ولكنه معي ويريدني أنا.. ويرى إن ذلك هو اكتمال العلاقة بين الرجل والمرأة وإن ذلك يُقوي الحب.. وخشيت أن أرفض.. أحسست إنه

الإجابة التي كنت أبحث عنها.. ذلك الرجل الرائع يحبني (أنا)!!.. كيف أستطيع الرفض؟ حاولت.. حاولت أن أرفض.. وكان دومًا رده الذي لا يتغير هو الابتعاد.. ابتعاد قاس، مؤلم، ولا يعود إلا بعد العديد من التوسلات والرسائل..

ولم يفت وقت طويل إلا وأدركت أني وقعت في الفخ.. لقد أعماني الحب أو بالأحرى -توهم الحب- فوقعت في شراك فخي الذي نصبته أنا بنفسي.. فمن ناحية أصبحت أكره البيت وكل ما يمثله.. أصبح زوجي رجلًا غريبًا عني، بل وحرّمت نفسي عليه، صرت أشعر وكأني أخون حبيبي، الرجل الآخر الذي أصبح يمثل لي كل شيء.. أصبحت لا أطيق عنه فراقًا.. بل وأكره النوم الذي يحرمني منه.. حبيبي الذي يطلب مني اللقاء، وأنا أبكي وأرفض.. أرفض لأني أخشى افتضاح كذبتي، فلقد قدمت نفسي له على أني مطلقة، سن أصغر من سني الحقيقي، وباسم مختلف.. لم أكن أعرف أني سأقع في حبه..

لم أدر ماذا أفعل.. لقد وقعت أسيرة فخي.. كانت الخطة التي وضعتها أن أطلب الطلاق.. لا بد، في أسرع وقت.. بدأت في افتعال المشاكل، أبحث عن أخطاء لم تحدث..

وجعل هذا السلوك زوجي يشك فيّ، فذلك التغيير المفاجئ في طبعي وسلوكي كان غريبًا.. تقلبات المزاج وكل محاولاته لاسترضائي التي تبوء بالفشل، بل وتزيد من

نفوري منه.. والأسوأ حين يجبرني أو يصمم على علاقة فأوافق مكرهه لإحساسي أني أخون حبيبي، ويلمح دموعي بعدها.. جعله كل ذلك يشك فيَّ، وينسحب صامتًا ويحاول مراقبتي..

واجهني بشكه ذلك يومًا.. أنكرت في البداية بشدة واستنكار خائف، ثم أمام تطمينه لي، ووعده أنه سيمنحني الطلاق، رأيت في ذلك طوق النجاة، فاعترفت له بحبي لرجل آخر..

وكان هذا ما يريده.. ضربني ضربًا مبرحًا.. أبلغ أهلي بكل شيء، ومنعني عن الهواتف والكمبيوتر.. وقامت القيامة بالنسبة لي، رفض أن يطلقني، وأخبرني أنه سيستمتع بتعذيبي.. ولم يجد أحد من أهلي القدرة على الوقوف أمامه، وقد (فضحتهم) على حد قولهم.. بل وضربني أخي يومها ضربًا مبرحًا وأخبرني أن أدعو أن يسامحني زوجي لأني إن خرجت من ذلك البيت سأخرج إلى قبر يعده لي بنفسه.. ولكن لم يهمني كل ذلك.. كان كل ما يشغل بالي هو اختفائي المفاجئ عن حبيبي، فلم أجد وقتًا لتحذيره، أو إخباره بالحقيقة وكان هذا يقتلني..

وكانت تلك هي المرحلة التي شاهدتها فيها.. حين جلسنا وحدنا أول مرة عندما أحضرها أهلها لعيادتي.. كان كل همها أن تنفرد بي وإذا بها تتوسل إليّ لإعطائها هاتفًا لتسمع صوت حبيبها.. حيث أنها في حصار دائم من أهلها وزوجها..

وكانت ترفض أي كلام، أو أية حكاية وترد على أي سؤال بكلمات مقتضبة وطلبها أن تقوم بتلك المحادثة.. وعندما أرفض تدخل في بكاء صامت، وترفض الحديث..

كنت أعرف أنها يجب أن تمر بصدمة الانفصال أو الطلاق، لا بد أن يصدمها الواقع بعيدًا عن تلك الخيالات التي تعيشها.. كان ذلك الحل الوحيد الذي رأيته ولم أقله.. لأنه ليس من حقي الاختيار لهما.

في أحد الجلسات والتي كانت تأتيها مكرهة، أخبرتني أنها اعتقدت أنها تحب زوجها في البداية، ولكن لم يكن هناك شيء مشترك، لا يوجد أهداف أو أحلام مشتركة، ولا التقاء في العقول.. ولم يلبث الحب المتخيل أن ذوي مع الوقت..

جعلت الصدمة زوجها يدخل في حالة نفسية غريبة هو الآخر.. كان يتراوح بين حالين، حال يكون فيه شديد الرقة والاهتمام، وهو يعدها أن ينسى كل شيء بشرط أن تحكي له جميع التفاصيل.. تقاوم في البداية ثم تستسلم وتقول.. فينقلب لحال آخر.. فينهال عليها ضربًا، ويشتمها بأفظع الألفاظ، ويمارس معها الجنس بعنف..

حتى وافق الأهل أخيرًا أن يطلقوها بناءً على إلحاحها بعد أن هددتهم بالانتحار، خاصة وقد غدت حالة زوجها النفسية غير مستقرة تمامًا.. والذي وافق على طلاقها وذلك

في مقابل التنازل عن كل شيء.. ومقابل وعد منها أنها لن تتزوج ثانية ولن تغادر المنزل.. والذي أسرعت هي بالموافقة عليه والوعد بتنفيذه.. وهو ما كنت أعرف أنها غير صادقة فيه..

كنت أعرف أنها ستتحين أول فرصة تخف فيها مراقبة أهلها عليها للاتصال بحبيبها المفترض.. ولكني لم أكن أعرف الصدمة التي كانت بانتظارها وإن كنت توقعتها..

حين كلمت حبيبها واعترفت له بكل شيء طالبة منه السماح، وأن يتزوجها، تظاهر بالصدمة والغضب واختفى..

لم تعلم أن الصائد قد تحول إلى الفريسة، وأن عندما تقع الفريسة يملها الصائد..

وظلت هي تطارده بالرسائل حتى وافق على الكلام معها مظهراً وجهه الحقيقي: «أنا لا أستطيع الزواج منك، لقد خنت زوجك، وخنتني.. أنا لا أستطيع أن أثق فيك.. نستطيع أن نظل على علاقة ونرى ما سيحدث.. وإن كنت سأستطيع الثقة فيك مجددًا»..

وافقت اعتقادًا منها أنها السبب، وأنها قد تستعيد ثقته مع الوقت.. ولم تعلم أن الصائد قد تحول إلى الفريسة، وإن عندما تقع الفريسة يملها الصائد.. راهنت على الحب الذي اعتقدته.. وخسرت معه كل شيء.. واختفى بعدها الاختفاء الكبير..

رأيتها ثانية بعد فترة في مرحلة الانهيار.. وقد فقدت كل شيء، بعد أن ملها الآخر، ولفظها بعد أن فقدت كل شيء.. كانت قد وافقت على الرجوع إلى زوجها حتى مع تقلباته النفسية.. اعتقادًا منها أنها تستحق ذلك العقاب.. حين رأيتها عرفتها بالكاد، كانت حطام إنسان، وقد انطفأ فيها كل شيء، وكانت حين تتكلم كنت أسمع صوتها يرن بخواء مخيف في داخلها، وكأنه ما صار في داخلها شيء إلا الموت والفراغ الأسود.. صارت هي الآن من ترفض الاقتراب من أي شاشة، بل وتحمل هاتفًا عاديًا لا يمكنها من الاتصال بالإنترنت..

أحسست وكأن تلك الخيانة قد تركت داخلها ندوبًا دائمة ستعيش لتراها يوميًا.. وأشك أن ألمها سيخف ليتيح لها الاستقرار في الزواج، وأشك أيضًا بل يستطيع زوجها النسيان، أو السماح أبدًا.. لقد أصبح يعيش ليذكّرها بخطيئتها ويعاقبها.. كانت اختياراتها طفولية، وقد أوصلتها إلى مكان لا مهرب منه، ولكنها الآن تعاقب عقاب الكبار..

حاولت الهرب ثانية.. إلى الأحلام، ولكني أشك أنها ستجد فيها الراحة، بل وأخشى أن لا تجد أبدًا طريق العودة..

كانت اختياراتها طفولية، وقد أوصلتها إلى مكان لا مهرب منه، ولكنها الآن تعاقب عقاب الكبار..

إنك عاشق رائع.. اغفر لي تثاؤبي..

من أشهر أسلحة المرأة الإنكار.. إنكار الحقيقة هو دفاع نفسي تسرف المرأة غالبًا في استخدامه، بالرغم من انتشار دعاوى حرية المرأة خاصة في المجتمعات المعاصرة، ولكن تبدو المرأة وكأنها لا تعرف حقًا ما تفعل بتلك الحرية.. والتي كثيرًا ما تتنازل عنها طوعًا باسم الزواج، قليلات من يستطعن ممارسة الحرية الحقيقية في إطار الزواج.

والحقيقة إن خوف الرجال المشهر، والمعلن من قيود الزواج موجود أيضًا لدى المرأة، بل وأكثر بمراحل لأن المرأة شاءت أم أبت، تتحمل مسئوليات أكبر في الزواج..

الرجل مسئول -غالبًا- عن إعالة الأسرة، مسئولية إن قام بها منفردًا، فإنه يمشى كالطاووس شاعرًا أنه ليس مطلوبًا منه شيء آخر.. بينما الواقع أن الحياة المعاصرة أصبحت تفرض على المرأة المشاركة في النفقات، والعمل كتفًا بكتف مع الرجل.. أضف إلى هذا مسئولية البيت من نظافة وترتيب وإعداد الطعام ورعاية الأطفال من ذهاب إلى المدارس، تدريب رياضي، إشراف على المذاكرة والتربية.. وكثير من المهام الأخرى التي يلقيها الرجل طوعًا على عاهل المرأة مكتفيًا بدوره في الإنفاق..

فغريب إذًا مع تلك الحقائق أن تسعى الفتاة سعيًا حثيثًا نحو الزواج؟.. لا، ليس غريبًا.. فمع ضغط المجتمع الشرقي والعنوسة والعمر البيولوجي للإنجاب تكبت المرأة مخاوفها

تجاه الزواج في مقابل أن تمر بدون الحكم المجتمعي: «لقد تزوجت.. لا يهم من الرجل!! التكافؤ الاجتماعي، الثقافي أو الدراسي؟ لا يهم!! لقد تزوجت»..

الحقيقة إن المرأة اليوم مع ما اكتسبته من حرية تكون أعلى تعليمًا وثقافة من الرجال في عمرها، وذلك لأنها تشعر أنها لديها نافذة ضيقة من الوقت لا بد أن تقتنص ما تستطيعه قبل أن تكبلها قيود الزواج والأطفال.. وذلك غير نظرة المجتمع أنك يجب أن تنفق في تعليم الولد وليس البنت لأنه عائل الأسرة.. بينما الفتاة مصيرها للزواج والبيت والأطفال..

الحقيقة المثيرة للحزن أننا كبشر لم نتطور في مشاعرنا بنفس سرعة التطور التكنولوجي.. فإننا نسمح لأنفسنا أن يسجننا الروتين والتقليدي والمألوف.

بلا جدال إن الحياة العصرية قد جعلت مهام المنزل أقل صعوبة، ووفرت للمرأة وقتًا لأداء أنشطة أكثر إيجابية.. ولكن الحقيقة المثيرة للحزن أننا كبشر لم نتطور في مشاعرنا بنفس سرعة التطور التكنولوجي.

فإننا نسمح لأنفسنا أن يسجننا الروتين والتقليدي والمألوف.

القصة المعتادة أن المرأة العصرية تتنازل عن عملها قبل الزواج لتصبح زوجة بدوام كامل، وقلما تفعل شيئًا لنفسها، قد تحن للعودة للعمل، ولكن مسئولية الأطفال

تجعل هذا مستحيلًا.. «اعملي كما تريدين لكن بشرط عدم التقصير في البيت أو مع الأطفال»..

كم مرة سمعنا تلك العبارة من الزوج؟ ومع الوقت تشعر بالملل، ويصبح الملل متجددًا، ومعديًا.. عندما يصاب الإنسان بالبرد، يتسلل التعب شيئًا فشيئًا إلى كل أطراف الجسد..

وهكذا الملل..

يتسلل الملل إلى كل جوانب الحياة فينزع اللون والطعم من كل شيء..

يصيب الملل الجنس في مقتل، وتصبح الممارسة الجنسية بعدها ضربًا من الواجبات المنزلية الثقيلة..

ويصبح لا شيء يثير التحدي، لا شيء يشعرها بالإشباع.. ومع الوقت، تصبح امرأة ملولًا، تفقد معنى الجنس وتتجنبه بأي ثمن.. ويصبح واجبًا آخر من واجبات المنزل التي تفعلها بصعوبة..

أحيانًا نتذكر أوقاتًا قبل الزواج أو في فترة الخطوبة، كانت تشعر بالرغبة في الجنس، أو تشعر بالإثارة عند رؤية مشهد رومانسي، أو مع لمسة حنون، وتوقعت أن يزيد هذا مع الزواج.. ولكن الملل أصاب الجنس في مقتل.. ولا يلبث أن يصبح الجنس الزوجي باردًا، ولا معنى له، وتتجنب كما قلنا الممارسة الزوجية..

والغريب أن الرغبة الجنسية تظل موجودة، إلا أنها تنطفئ فور أن ترى الزوج أو يلمسها.. لأنها مثل أي غريزة طبيعية تكون موجودة، وملحة، إلا إن تسلل الملل للكيان الزوجي فأصبح اكتئابًا يطفئ أنوار كل شيء.. الأكل، والنوم، والاهتمام الشخصي، وبالتالي الجنس..

وتصبح المرأة عندها جاهزة للمغامرة، إذ أثبتت الدراسات أن 70 % من العلاقات خارج إطار الزواج كان وراءها الملل..

الملل من أكبر الآفات النفسية.. رغم قلة الاهتمام به، أو إعطائه قدره، هو علة نفسية.. يفتقد الشخص فيها للموارد الذاتية التي تمنحه الاتزان والنضج الذي يؤهله للتعامل مع ضغوط الحياة..

الحياة العصرية الآن مصابة أيضًا بنوع من الفصام.. إما الرومانسية حيث الحكاية الخيالية التي يتزوج في ختامها الأبطال، ويعيشا بسعادة ما دامت الحياة.. أو المبالغة الهيستيرية في إدخال الجنس في كل تفاصيل الحياة من إعلانات وأفلام وملابس، أو رسائل يقدمها الآباء للأبناء..

غالبًا ما يشكل الزواج في البداية صدمة لأي زوجين.. لما يحمله معه من مسئولية وروتين والتزامات، ويبدأ كل منهما رويدًا، رويدًا بالتخلي عن الصورة المثالية التي كانت في خيالهما.. وسرعان ما يكتشفان أنه بالرغم من الإشباع

الذي يحمله الجنس الزوجي -خاصة- وإن كانا ناضجين كفاية، لكنه يفتقر إلى الإثارة والخيال والإبداع.. فلا يلبث أن يخف وهجه بعد حين..

الزوج غالبًا والذي يقضى معظم يومه في كسب العيش أكثر قدرة على تحمل إحباط الزواج، لأن لديه أنشطة تتحدى خياله، وأناسًا جديدة يقابلها يوميًا.. أما الزوجة -خاصة- وإن كانت لا تعمل، فإنها تواجه صورة أخرى من الحياة بلا ألوان، وغالبًا ما تحمي نفسها من ألم الصدمة بغطاء من الملل..

يتسلل الملل إلى أفكارها ومشاعرها، وغالبًا ما تبدأ حينها المرأة في الشكوى: «لم أعد بنفس حدة الذهن كما كنت قبلًا.. لم أعد أستطيع البكاء ولا الضحك»..

وتبدأ في محاولة تقبل الحياة كما هي، وتفقد نفسها في أحلام اليقظة، ككمالة الأحلام الرومانسية التي عاشتها قبل الزواج.. تغرق في الأحلام والمسلسلات التركية أو الهندية، حيث الجرعة مبالغ فيها من الرومانسية، حيث تتوحد مع البطلة، وترى نفسها الجميلة، المثيرة المرغوبة، وترى غريبًا وسيمًا يجتاح حياتها.. ومهما يكن زوجها جيد الطلعة، إلا إن الملل سيجعلها تتوقف عن رؤيته.. وتبدأ لا شعوريًا في النظر حولها، وغالبًا ما تكون العلاقة هنا هي امتداد لأحلام اليقظة التي اجتاحتها..

المرأة الخائنة هنا تعيش عالمين، أحدهما حقيقي: الزواج

بمسئولياته والتزاماته ومصاريفه، حيث الأطفال والزوج الذي يطلب حقه من الاهتمام.. والآخر خيالي، حيث تكون البطلة المثيرة المرغوبة، وحيث تشعر بالإشباع أكثر من أي شيء اختبرته في العالم الحقيقي..

وغنيّ عن الذكر أن أية علاقة ستدخلها ستكون أكثر إحباطًا من أي شيء تخيلته.. لن تستطيع أية علاقة حقيقية منافسة عالم الخيال..

(أميرة) ككثيرات غيرها، أتمت الجامعة وعملت سكرتيرة لبعض الوقت.. تزوجت في أوائل العشرينات.. وأتمت سبع سنوات من الزواج.. وبعدها قابلتها في عيادتي..

من النظرة الأولى كان واضحًا المجهود الذي بذلته لتبدو جميلة.. نوعية النساء اللائي يكن دومًا في رجيم متصل، ومع ذلك لا يخفي هذا بعض الترهلات في بعض المناطق.. بعض الخصلات الظاهرة من تحت الحجاب..

جاءت تشكو زوجها.. أنه لا يقدرها.. لا يراها.. يعمل بجهد كبير ولا يرى إلا عمله.. كانت علاقتهما مرضية أول الزواج، ولكن يومًا بعد الآخر بدأت تشعر أنه يعتبرها مسلم بها.. كان يطلبها من حين لآخر، إلا إن استمتاعها باللقاء بدأ يقل كثيرًا.. كان أنانيًا في طلبه ويسبب لها مشكلة كبيرة إن رفضت..

بدأ الملل يتسلل، وبدأت هي في الهروب إلى عالم الخيال.. كانت تقوم بمهامها اليومية وكأنها تحت التنويم

المغناطيسي.. وفي الحقيقة كانت شخصية لا تأبه كثيرًا لمفهوم الحلال والحرام، الصواب والخطأ..

أول ثلاث أو أربع سنوات كانت مخلصة لزوجها، حتى بدأت تشك في خياناته، ولكنها لم تستطع إثبات شيء عليه.. وإن واجهته أنكر بشدة واتهمها بالجنون.. وبغض النظر إن كانت اتهاماتها واقعية أو مجرد وسيلة من عقلها الباطن لتبرير الخيانة.. فكانت البداية في مصيف عائلي حيث بدأ المزاح المبطن مع زوج بنت خالتها، ولمسة تبدو بريئة من حين لآخر.. ونظرات تقول أشياء.. وحين عادا استمرا في الحديث يوميًا ولم يمر أسبوع إلا والتقيا.. لقاء غير بريء.. قد يبدو هذا السيناريو غريبًا لشخص لا يعرف سيكلوجية الملل.. لم تكن منجذبة إليه جسديًا.. لم تعرفه كفاية ليجذبها عقله.. بل والحقيقة أنه كان غريبًا تمامًا بالنسبة إليها..

ما الذي حدث إذًا وجعلها تسقط تلك السقطة؟ وقد تخلت تمامًا عن أي أخلاق، وكرامة.. كانت هي نفسها عاجزة عن تفسير سلوكها.. كانت كما قالت وكأنها (ملبوسة)، وكأن قوى خارقة تسيطر على أفعالها، وكأنها في حلم..

كانت تعيش عالمين.. في بيتها زوجة مكرسة كل وقتها لزوجها وأبنائها.. وفي عالم آخر تتصرف بطريقة، وتقول ألفاظًا لا يمكن تخيلها أبدًا، وتمارس الجنس مع رجل غريب عنها تمامًا.. اخترعته من أحلامها وألبسته إياها،

وإن كان عكسها تمامًا في الواقع..

لقد كان رجل الصدفة..

في البداية لم تشعر بالذنب.. ولا أحست أنها رخيصة.. ولكن الغريب أيضًا أنها لم تشعر بأية إثارة جسدية أو تصل إلى الذروة معه.. لقد كان (رجل الصدفة).. إن لم يكن هو سيكون غيره.. شخصًا تسقط عليه أحلامها..

لقد وافقت ظروفه السيناريو الذي رسمته في أحلامها، وكانت تتوقف عن التفكير فيه فور دخولها لبيتها.. وكانت تتجنب التفكير في كونها بذلك السلوك تصبح خائنة وهو الإنكار.. كانت تعتقد أن بمجرد عدم التفكير في السلوك الذي تفعله فبذلك تنعدم المشكلة..

لقد انغمست تمامًا في خداع ذاتها.. ولا يعني هذا أنها لا تدري ما فعلته، أو أنها تستطيع محوه تمامًا من ذاكرتها.. فلقد بدأت تعاني من نوبات الإحساس بالذنب.. ولعجزها عن تفسير سلوكها أو توقيفه، كانت تشعر بالذعر، والذي كان يتصاعد أحيانًا لنوبات من الهلع تجتاحها.. ولعجزها عن كبت تلك المشاعر بدأت في الشجار مع زوجها، وتجد خطئًا في كل ما يفعله.. وتخبره باستمرار أنها ليست سعيدة معه، وترغب في الانفصال عنه.. وهو ما كان يرفضه تمامًا..

ولعجزها عن تحمل فكرة خيانتها، ولأنها كانت في الواقع لا تعني لها شيئًا، فلقد أقنعت نفسها بنسيان تلك التجربة

وكأنها لم تحدث.. وبدأت مشاعر الذنب تخفت مع ذلك الحل، بل وتحسنت علاقتها بزوجها..

ولكن ذلك التحسن كان وقتيًا.. لغياب القدرات الذاتية التي تسمح لها بالنضج.. وبالانشغال الإيجابي في حياتها.. بدأ الملل يتسلل ثانية، وأغرقت نفسها في الأحلام ثانية، وأغرقها إحساس عدم الرضا.. وأصبح المسرح معدًا لخيانة ثانية..

كان جارًا لها، أصغر منها بكثير.. لا تدري متى، أو كيف تورطت معه في علاقة.. كانت تتصرف في كل واحدة من تلك العلاقات وكأنها مغيبة.. بل وأحيانًا ما كان يغيب اسمه عن ذاكرتها..

أصبحت عندما يطلبها زوجها ترفض بطريقة جارحة.. تجعله يتشاجر معها.. بل وترك البيت في إحدى المرات.. زاد ذلك من إحساسها بالذنب، ولم ترتح إلا عندما عاد للمنزل..

لم تستطع في تلك المرة أن تمسح من ذاكرتها ما فعلته.. كانت جرأة الفعل الذي ارتكبته وغرابته يهزها من الأعماق.. وخاصة أن ذلك الجار أصبح ينتظر ذهاب زوجها يوميًا للعمل ليطلب منها الدخول.. ولأنها لم تعلم ماذا تفعل كانت تسمح له بالدخول.. لتتورط أكثر فأكثر في العلاقة.. ولكنها لم تعد قادرة على إدخال تلك العلاقة في عالم الحلم لديها..

أصبح إحساس الذنب قويًا جدًا يفجر من داخلها خوف رهيب لأنها أصبحت عاجزة عن تجاهل الحقيقة وإنكارها عن نفسها.. تورطت في سلوك مهين، وعلاقة تجعلها رخيصة مع شخص لا يعني لها شيئًا بدون أي سبب منطقي، بل وحتى لا تستطيع أن تستمتع بالعلاقة.. ولكن المشكلة الحقيقية أنها أصبحت عاجزة عن التخلص من عشيقها، الذي دخلت معه في علاقة بالصدفة، لا تكلفه شيئًا لا مجهودًا، ولا نقودًا، ولا مسئولية.. فلم يكن لديه نية في التخلي عنها..

كان زواجها قد انهار بالفعل مع صحتها التي شعر كل من حولها وكأن شيئًا ما يأكلها من الداخل.. وبعد أن عجز الأطباء عن تفسير تدهورها اتجهوا إلى تحويلها إلى الطب النفسي..

بعد فترة من بداية العلاج وجدت في نفسها القدرة على إنهاء العلاقة، ولكن كان قد فات الأوان لإنقاذ الزواج، حيث إن زوجها قد وصلته عدة رسائل مجهولة جعلته يشك في سلوكها، إلا إنه قد عجز عن إثبات أي شيء فطلقها.. وبعد الطلاق توقفت تمامًا عن الذهاب للعلاج النفسي وكأنه لم يعد له فائدة..

أنا واثقة أنها ستلجأ ثانية إلى أحلام اليقظة، كي تهرب من إحساس الملل الذي تخلل إلى كل كيانها، والذي تهرب إليه من كل موقف تعجز عن التعامل معه.. كانت جميلة فلا بد أنها ستتزوج ثانية، ولكني واثقة أيضًا

أنها ستعيد أخطاءها مهما كان زوجها طيبًا أو محتملًا لتقلباتها..

كان موقفها كموقف هاو يمشي على حبل، قد يفقد توازنه في أي وقت ويهوى إلى القاع.. كانت أحلام اليقظة تستحوذ عليها لدرجة أني كنت أخاف عليها أن تفقد الصلة بالواقع فتحتاج للحجز بمصحة، وخاصة مع قسوة إحساس الذنب الذي يدخلها في نوبات عنيفة من الاكتئاب، بل وقد تصبح في خطر إنهاء حياتها..

لو سمحت لنفسها بتكملة العلاج النفسي لتولدت عندها البصيرة التي تسمح لها بالتفرقة بين الواقع وبين عالم الأحلام.. بل ووضعت علاقتها مع جارها تحت مقاييس واقعية فترى أن لا شيء يجمعهما حقًا رغم تخيلها في وقت ما أنها تحبه.. ولرأت دوافعه في العلاقة، والتي لم تكن إلا جنسية..

ومن المثير حقًا ملاحظة ظاهرة النساء المتزوجات اللائي يتورطن في علاقة مع رجل بالكاد يعرفونه.. ويتخيلن فجأة إنهن يستطعن التخلي عن كل شيء البيت والأسرة والأطفال.. غالبًا هؤلاء النسوة يكن ضحية لما يسمى: «الملل العصابي» حيث أحلام اليقظة لا تنقطع، ويخلطن بين الحقيقة والخيال، ولا يتحملن المسئولية على أفعالهن وينسين واجبهن تجاه أطفالهن.. ويتوقفن عن الشعور بأي شيء إلا الغضب تجاه أزواجهن وتحميله مسئولية كل شيء..

غالبًا ما تكون تلك النساء ضحية لحالة من الملل العصابي الذي يجعلهن غير قادرات على التفرقة بين الواقع و الخيال، ويملن لتحميل الآخر المسئولية على كل شيء..

غالبًا ما تحدث الإفاقة بصدمة ولكن بعد حدوث الضرر، بعد خسارة الزوج والأطفال.. ولا تعرف حينها هل المشكلة في عدم وجود رادع أخلاقي، أو في مشكلة نفسية حقيقية.. ولكنها -بلا جدال- ليست تلك المخادعة التي تستمتع بخيانة زوجها أو إهانته..

ولدت خائنة

تلك النوعية من النساء اللائي يبدلن الرجال بسهولة تبديل الأحذية يتعرف عليها الطبيب النفسي بسهولة فورًا، ولكن يتعرف عليها الرجل بصعوبة لأن الاحتمالات كلها تكون ضده..

هذا النوع من النساء يشعر بعدائية كبيرة نحو جنس الرجال، كل الرجال حتى لو ابنها، لو أباها وبالأخص زوجها.. ولكنها لا تدرى ذلك، ولا يراه أحدًا حولها..

غالبًا تكون جميلة وجذابة للرجال، وتعرف كيف تبرز مواطن جمالها.. خبيرة في استعمال أدوات التجميل، وغالبًا ما تكون هي البادئة في العلاقة، وبعدائية الصيادة الذي لا تسمح للفريسة بالإفلات، حتى لو خدع الرجل نفسه أنه هو البادئ بالعلاقة..

ورغم مهارتها المتعددة في إثارة الرجل، فإنها غالبًا ما تكون جامدة في مشاعرها، باردة في إحساسها، وهي في ذلك لا تخدع الرجل فقط، بل ماهرة في خداع نفسها أكثر، ولا تستطيع الاعتراف بذلك حتى لنفسها حتى لا يختل توازنها النفسي.. وتستمر الكذبة للطرفين حتى يفوت الأوان.. تستمتع بإهانة الرجل، ولو حتى في عقلها فقط، وتعشق قدرتها في السيطرة عليه واللعب بمشاعره.. غالبًا لا تستمتع بالجنس، ولكنه فقط وسيلة للسيطرة.. نادرًا ما يكون الجنس محركًا، ولكنه فقط أداة الإهانة..

في زواجها تكون تلك المرأة جحيمًا على الأرض، تسيطر عليه بالإهانة مرة، وتسيطر عليه بالجنس مرة أخرى، وتتلذذ بإشعاره أنه لا شيء، ومهما فعل لن يستطيع إرضاءها.. وتحوله في العلاقة إلى دمية تحركها بأصابعها، تمارس معه الجنس فقط عندما يناسبها هذا، وليس أبدًا عندما يطلبها..غالبًا ما تخون زوجها، جزءًا من ذلك رغبتها في إهانته، والتلذذ بإثارة غيرته، ولكن ليست تلك هي الحكاية كلها..

ولأنها غالبًا يكون متملكها (العصاب)(5)، فإن بقية الحكاية هي رغبتها في إهانة كل الرجال فيه، وهي تقوم بإيذاء أكبر عدد منهم تستطيعه.. تقوم بذلك كله، والسطح الخارجي لها رقيق وضعيف وغير مؤذٍ ظاهريًا لا يشي أبدًا بتلك الرغبة العارمة في الانتقام.. وتكون تلك الواجهة الناعمة هي الجاذبة للرجال والمثيرة لرغبة الحماية داخلهم..

تكلم فرويد عن تلك الظاهرة، فيما سماه: «الغيرة من الذكر»(4).. لأن لديه ما ليس لديها.. فتشعر بالقهر والضآلة والدونية، ولذلك تبذل مجهودًا كبيرًا في إنزال الرجل لمستوى قليل جدًا يماثل ما تراه هي عن نفسها لضمان تفوقها عليه.. تستعمل تلك المرأة جاذبيتها والجنس نفسه أحيانًا سلاحًا ضد الرجل لضمان سيطرتها عليه..

في الأحوال الشديدة، عندما تبيع المرأة جسدها فإنها

تبذل قصارى جهدها لإحكام سيطرتها على الرجل الذي يدفع لها نقودًا مقابل جسدها، فإنها تريد أن تثبت لنفسها أنها متحكمة فيه، فيكون ضعيفًا أمامها وتظل هي مسيطرة على حواسها كلها فلا تشعر بالنشوة..

فدائمًا ما يرفض عقلها اللا واعي(3) أن تستسلم لأي رجل، حارمة نفسها من حقها كأنثى، لأنها ترى في ذلك ضعفًا، أن تسمح لرجل ما بالسيطرة عليها.. غالبًا ما تنكر تلك المرأة أن غريزتها الجنسية عالية أو أنها غير أخلاقية، أو تعاني من أي مرض نفسي.. كل ما تعاني منه تلك المرأة هو عدوانية شديدة تجاه الرجل.. من أين نشأت تلك العدوانية؟؟

عادة تكون ابنة لامرأة تعاني نفس العدوانية تجاه الرجل، لأن ذلك الموقف العصابي غالبًا ما تتوارثه الأجيال.. يكون الأب في ذلك السيناريو ضعيفًا.. قد تشعر تجاهه بالشفقة، ولكن ليس أبدًا بالاحترام.. وغالبًا أيضًا ما تتزوج شبيهًا لذلك الأب، رجلًا ضعيفًا ومعتمدًا عليها..

إنها تنجذب لاشعوريًا للرجل الذي تعلم أنها تستطيع السيطرة عليه.. والرجل الاعتمادي ينجذب لاشعوريًا لامرأة تقوده وتتحكم فيه..

قد يكون هؤلاء الأهل أيضًا لم يتمنوا فتاة بل صبيًا، ولم يحاولوا حتى إخفاء هذا، ومنع إحباطهم من أن يلوث

نشأتها.. في طفولتها، تتقمص دور البنت المسترجلة في محاولة لإرضائهم، وتحاول عبثًا إثبات أنها تستطيع فعل كل ما يفعله الرجل..

قد تكون تلك المرأة العدوانية أيضًا أخت لعدد من الإخوة الرجال الذين حسدتهم في طفولتها، لأنهم يتمتعون بقدر أكبر من الحرية والامتيازات أكثر من تلك المسموح لها بهم، بل ولعلها حاولت أن تثبت في طفولتها أنها أكثر رجولة منهم..

من أين نشأت عدوانية تلك المرأة تجاه الرجل.. تلك الرغبة العارمة في الانتقام ؟؟

عندما تقوم تلك المرأة بفرض سيطرتها على زوجها، هذا يجعله لاشعوريًا أكثر اعتمادية، وأكثر قابلية للتعرض للخيانة من الرجال الآخرين، رغم أنه قد يكون من الخارج (طول بعرض)، ولكن تعلقه العاطفي بزوجته -غالبًا- بسبب مشاكل خاصة به مع والدته، والتي غالبًا ما تشعره إنه غير كافيًا لجذب انتباه امرأة جميلة.. ولاشعوريًا تشعر تلك الزوجة بضعف الزوج، وكأنها القصة الخالدة «لكعب أخيليس»(2) وتتعرف هي على تلك المنطقة الضعيفة وتتاح لها فرصة ذهبية لتقهره، قد تتظاهر بالاهتمام برجال آخرين حتى تثير غيرته، وتجعله أكثر قلقًا وحيرة حول حبها له، وفي الأحوال الشاذة قد تجعله يعلم أنها تقيم علاقة مع غيره..

غالبًا يكون عند تلك المرأة ميول سادية.. فهي تستشعر لذة بالغة من إيذاء زوجها، وتستمتع بمعاناته العاطفية وألمه.. وتكتمل العلاقة المريضة عندما يستمتع هو بالتعذيب فيكون المكّمل الماسوشي لها، والغريب إن بداخلها ميزان دقيق.. أنها تعرف تمامًا لأي مدى من السلوكيات المريضة يحتمل هو، فلا تتجاوزه.. قد تخطأ أحيانًا، ولكن في الغالب لا..

في حال قيام تلك الزوجة بالخيانة فهي تنجز عدة أهداف في آن واحد.. عندما تجذب رجالًا آخرين غير زوجها فإنها تحقق عقدة الطفولة عندما كانت تعاني من الغيرة من إخوتها الرجال وكانت غير واثقة في قدرتها على منافستهم - بالذات- على حب أبويها..

وكلما زاد عدد الرجال في حياتها، وثقت أكثر في قدرتها.. وعادة ما تعني العلاقة الجنسية بالنسبة لها «لا شيء».. على الأقل من الناحية الجنسية، فهي في الغالب لا تشعر بأي بشيء، غير إحساسها بالرضا لأنها أقوى من عشيقها..

إنها تجعله (عشيقها)، خاضعًا لها بينما هي تظل باردة ولا تشعر بشيء، وبالتالي تصبح السيطرة في يدها، وتحوله لنسخة أخرى من زوجها.. أي خاضعًا لها عاطفيًا..

ولكن لا بد أن نعرف أن تلك اللعبة تحدث خارج حدود العقل الواعي.. إنها لا تدري تمامًا لماذا تفكر أو

تتصرف بتلك الطريقة، والتي لو شرحت لها لصدمت..

مصطلح «الإخصاء العاطفي»(1) من المصطلحات النفسية والتي غالبًا ما لا تعطي الأهمية الكافية في العلاج النفسي، رغم أنه عندما يُنتبه لها فإنها تحل العديد من الصراعات بين الزوجين.. وسيتم توضيح معنى الإخصاء العاطفي وكيفية التعامل معه في فصل لاحق.

بلا جدال درجة «العصابية»(0) تختلف من امرأة لأخرى، ودرجة العدوانية تجاه زوجها قد لا تصل لحد الخيانة، ولكن قد تقف عند العدوانية اللفظية حيث تتمتع فقط بإحداث الإهانة له أو التقليل من دوره وأهميته في حياتها..

ولكن عادة إن دخلت المرأة في مرحلة العلاقة، فنادرًا ما تقتصر على علاقة واحدة.. ومهما كانت درجه التعلق العاطفي للزوج بها، فنادرًا ما يحتمل تبجح أو اعتراف صريح بالخيانة.

عادة ما يكون الرجل في حالة من الإرهاق العاطفي، والتي يفضل معها الموت على انفصاله عنها.. وإن كان الانفصال عنها، هو العلاج الوحيد للتعلق العاطفي بها.. وكأن الزوجة -خارج حدود العقل الواعي- تدرك هذا، تدرك عدم قدرته على الانفصال عنها.. ولهذا فهي نادرًا ما تصرح بعلاقة الخيانة، ولكنها تكتفي بإشارات خفية حتى تستطيع دومًا التراجع والإنكار.. فهي تعطي له تلميحات

تجعله شديد الشك والغيرة، ولكنها تخفي الحقائق التي تمكنه من إثبات التهمة عليها.. وأحد أشكال اللعبة أيضًا أن تلفق الزوجة التلميحات بوجود علاقة أخرى، وتثير الشك والغيرة لديه، بدون أن تكون هناك علاقة فعلية أصلًا.. لعبة قاسية جدًا بغض النظر إن كانت واعية أو غير واعية فهي بلا جدال مدمرة.

في إحدى الحالات (هيام).. كان الزوج كثير السفر والابتعاد عن المنزل، وكان من عادته أن يتصل بزوجته كل يوم في المساء، وتبدأ اللعبة عندما تتوقف فجأة عن الرد عليه، وتجعل الهاتف مغلقًا ولا يكون بينهما أي سبب لذلك من شجار أو خلافه.. وعندما يثور عند عودته طالبًا تفسير، تعطي تفسيرات حمقاء ببرود: «لم أسمع الهاتف.. كان مغلقًا.. فاصل شحن.. كنت نائمة».. ويثور الزوج ويقيم الدنيا، ولا يقعدها.. وعلى طريقة (هاتنزل المرة دي)!!، تهدأ العاصفة، و(تقعد) الدنيا وهو يقول لها كم هو يحتاجها ويحبها، ويرجوها ألا تتركه.. ولا يكفي هذا الزوجة.. هذا المستوى من اللعبة لا يرضيها ولا يجعلها ترغب أن تتوقف عن اللعب.. وصلت إلى درجة من المرض العصابي والتي لا تكفيها معه ضحية واحدة..

رأيت ذلك في إحدى الحالات بالعيادة، زوجة رقيقة، ضئيلة البنية، وزوجها رجل طويل وعريض.. عالي الصوت بادي الرجولة، ولكنها كانت تستمتع باللعب به وبمشاعره، وكأنه عروس ماريونت.. بل ورأيت كيف

تتعمد إهانته وتقليله أمامي في عدة مناسبات.. ورأيت لعبة السيطرة، وتمتعها بإخصائه..

كان هذا الزوج فخورًا بشكل زوجته، يستمتع بأن يعرضها على أصدقائه، ولم يعترض قط على طريقة لبسها، والتي كانت كثيرًا ما تكشف أكثر مما تستر.. وكانت تستمتع أن توضح مفاتنها بطريقة (تبدو) بريئة كلما كانت بصحبة أصدقائه.. ربما لم يرض زوجها تمامًا عن ذلك، ولكنه كان يخشى أن تثير معه مشكلة، حيث كانت تثور ثائرتها مع أقل نقد.. وكانت تكسر وتحطم كل ما أمامها، كان مجرد التهديد بهذا كفيل بأن يجعله يرتجف ويتخلى عن فكرة المواجهة، وكانت تدرك ذلك جيدًا.. فمن أول يوم في زواجهم كانت هي المتحكمة.. هي المايسترو، وهو الراقصة..

الجنس مسموح فقط عندما تريد هي ذلك، وغالبًا ما كانت تستمتع بالعنف، وكان يمتعها جدًا أن تثيره ثم تتوقف تمامًا وتدعي عدم الرغبة، حتى يتوسل إليها الاستمرار، ويسمح لها أن تفعل ما تريده تمامًا.. وكم تتمتع بعدها بإذلاله وهي تحكي له (بعدها) أنها لم تشعر بأي شيء أثناء العلاقة.. ولكن بالنسبة لها، حتى تلك الدرجة من الانتصار كانت لا تكفيها، أي (السيطرة على رجل واحد)، كانت لا تكفي لإشباع الرغبة العصابية لديها في السيطرة على كل رجل يمر في حياتها، وكلما كان أصعب أو غير متاح، كانت المغامرة أحلى..

وبعد أقل من سنتين من زواجها، كانت قد تورطت في أول علاقة، كان صديقًا لزوجها، وبعد فترة طويلة من العلاج اعترفت أنها هي من بدأت العلاقة.. وإنه كان رافضًا بشدة -في البداية- مبدأ أن يخون صديقه.. ولكن هذا بالنسبة لها كان انتصارًا مضاعفًا، أن تنجح في إقناع رجل أن يعمل عكس مبادئه وإرادته..

بعدها دخلت في سلسلة من العلاقات حتى نسيت عددهم الحقيقي.. لم يكن لأي من تلك العلاقات أي معنى حقيقي لها، ولكن مثل العديد من الخائنات كان يسيطر عليها رغبة لا تقاوم.. تعشق العيش في الخطر، تعشق حبك الخطط.. ذلك الجو الملبد بالتوتر كان يخلق لديها إثارة تفوق الإشباع الجنسي..

لو تخيلنا الوضع.. رجل وامرأة متزوجان (من آخرين)، ويلتقيان سرًا من أجل علاقة جنسية، فإن ذلك الوضع المتوتر في حد ذاته هو أكبر ما يعيق الجنس بينهما، والذي يحتاج إلى الاسترخاء من أجل الوصول لقمة المتعة.. غرفة غريبة، بيت غريب، رجل غريب.. هي ليست أحسن الظروف لكي يحدث الإشباع الجنسي..

الجنس حتى يحدث بطريقه ناجحة، لا بد أن يتم في إطار من الحب والألفة بين الرجل والمرأة في إطار الزواج، وأن يمارسا الصبر في تلك العلاقة حتى يتعلما الرغبات والمكروهات لكلًا منهما..

تحتاج تلك العلاقة إلى الكثير من الوقت والتحمل، وليس ضروريًا أن يجد الزوجان الإشباع في العلاقة الجنسية في كل مرة.. لو أضفنا لتلك الضغوط.. الخوف وإحساس الذنب.. فليس غريبًا ألا يشعر أيهما باستمتاع حقيقي في العلاقة، ولو حتى كانت هناك ملذات جسدية فهي وقتية، وسريعة الزوال.

كأن يتناول الإنسان وجبة ثقيلة تسبب له عسر الهضم، مع الوقت سيجوع ثانية، ولكنه سيتفادى ما يسبب له عسر الهضم والألم..

بالنسبة للمرأة، أنها كما قلنا تجد اللذة في السيطرة.. وكلما زاد عدد ضحاياها زادت درجة الإشباع التي تجدها من علاقاتها.. بل وأيضًا في اللذة المريضة التي تشعر بها وهي تراقب زوجها والوجع في عينيه، وهي تنسج شباكها حول الرجال الآخرين..

بل تراه أحيانًا وهو يقرر «ألا يرى!!».. إنه حقيقة لا يريد أن يعرف ما تفعله زوجته.. فربما ساعتها سيضطر أن يطلقها، وهو لا يستطيع ذلك.. فيقرر العيش في الظلام، بينما هي تستمتع بكل دقيقة من اللعبة..

وتستمر العلاقة المريضة، ويمر الزمن.. يزداد الزوج نجاحًا.. وتزداد الزوجة رخصًا.. وإذ يمر العمر بها، تحاول أن تحافظ على شكل امرأة العشرين عامًا، فلا تنجح إلا في جعل نفسها أكثر قبحًا.. بل أحد أصدقاء زوجها ظنها يومًا

فتاة رخيصة.. واستغرب من جرأة زوجها أن يظهر بها في المجتمعات، ودون خوف أن تصل المعلومة لزوجته.. والغريب إن تلك الملاحظة هي التي أتت بها للعلاج.. فقد وضعتها تلك الملاحظة في مرتبة العاهرة مدفوعة الأجر.. وبدأ تدهورها العقلي والوجداني..

مع تطور زوجها في العمل والمجتمع بدأ يصبح أقل تعلقًا بها.. وبدأت هي تلاحظ بعده المشاعري والفعلي عنها، وبدا أقل احتمالًا لسلوكياتها، وملاحظاته وانتقاداته حولها تزداد جرأة.. وبدأ يبتعد عنها جسديًا وتزداد فترات غيابه عن المنزل..

في يوم وهي تمتحن سيطرتها عليه، حاولت إغراءه جسديًا، ففوجئت برفضه لها.. أوجعتها كرامتها ورفضه.. كانت غير راغبة فعليًا في العلاقة ولكن بعده عنها أقلقها، فلما رفضها أهانته.. فوجدته بكل هدوء يخرج شنطة صغيرة يجمع بها عدة أشياء وهو يخبرها إنه كان في انتظار قشة واحدة لكسر العلاقة، وحتى يرمي بها خارج حياته دون شيء، ويتزوج أخرى.. تركته يرحل وكلها يقين أن (كبيره) يومين وسيعود طالبًا منها الصفح.. كعادتها في لعبة السيطرة وطلبت من زوجها الطلاق..

وتوقعت هي انفجارًا.. توقعت انهيارًا منه.. توقعت أن يدخل جميع العائلة والأصدقاء لإقناعها بالعدول عن قرارها، ولكنها لم تتوقع تلك الموافقة الهادئة، والسريعة.. واكتشفت فورًا (أنها حسبتها غلط) تلك المرة..

رفض زوجها تمامًا إعطاءها نفقة، ولأنها تجاوزت سن الحضانة (للأطفال) فلا مسكن لها.. ووجدت لدهشتها أنها عاجزة تمامًا عن أي نوع من السيطرة العاطفية عليه.. وعندما حاولت إدخال المحامين في القضية، كمحاولة منها لإطالتها، وجعله يتراجع، فوجئت أنه يعلم عن جميع علاقاتها وبل ويملك أدلة على الخيانة.. كانت لاغترارها بنفسها، وبسكوته طوال تلك السنوات قد تخلت عن حذرها، وعندما أدرك هو النهاية استعد لها.. وعلمت أن خروجها بلا شيء هو أحسن ما قد يحدث الآن.. سيطلقها دون أن يعطيها شيئًا.. بل ولو حاولت صنع أي فضيحة سيقوم بتسليم الأدلة للشرطة، وكان المسمار الأخير في نعشها عندما أخبر عائلتها كل شيء، فصارت حتى لدى أسرتها مرفوضة ومكروهة..

كانت تعاني من حالة فظيعة من الهزيمة فوافقت على الطلاق دون أي شيء، ووافقت على كل شروطه.. تحملت المعاملة السيئة من أهلها في البداية على أمل أنها ستعرف كيف توقظ مشاعره، ولكنها لم تتوقع أن يتزوج مجددًا في نفس الأسبوع.. وكانت الصدمة الثانية أن عشيقها الجديد لم يكن ينتوي أبدًا الزواج بها، أنها لم تكن بالنسبة له إلا نزوة عابرة ولم يكن ينتوي أبدًا أن يدفع أي ثمن لتلك العلاقة..

وهنا اكتملت الدائرة.. فلو كان هناك من خطط انتقامًا ونفذه، لم يكن ليفعله بتلك البراعة.. عانت (هيام) من

انهيار نفسي، وأدخلت إلى مصحة نفسية عامة، حيث رفض جميع من حولها تحمل نفقات العلاج.. وهناك رأيتها ثانية، وكانت لا تزال لديها بقايا الجمال، ولكن الضربات المستمرة لكبريائها أرسلتها أرضًا..

كان صعبًا عليها، بعد سنين من كونها ملكة مسيطرة على إرادات الرجال، أن تصبح مريضة في مصحة عامة لا سيطرة لديها على شيء،ولا حتى على نفسها.. والأسوأ الرفض المضاعف الذي تعرضت إليه قبل الدخول.. تعرضت لاكتئاب شديد، ولم يصبح لديها سبب للحياة...

وبعد فترة طويلة تمكنت أن أنقل إليها، لم تصرفت هي بتلك الطريقة العدوانية، شديدة القسوة طوال حياتها.. لقد تسرب إليها طوال طفولتها وفترة المراهقة أن طريقتها الوحيدة في الاتزان هي بالسيطرة على من حولها.. وخلال فترة مرهقة من العلاج تبنت طريقة أكثر إيجابية في التفكير..

بعدها ساعدتها في الحصول على وظيفة، وببطء بدأت في استعادة حياتها مع الكثير من التوجيه حتى لا تقع ثانية في نفس الأخطاء التي كادت تفقدها عقلها..

لم تتغير شخصيتها تمامًا، ولكنها تعلمت السيطرة على نزعاتها العدوانية تجاه الرجال، وأنفقنا العديد من الجلسات في دراسة مفهوم العلاقة الحقيقية، والتي لا يوجد فيها مفهوم للسيطرة إلا للمبادئ والحقيقة.. تناقشنا في نمط الرجال

التي لاشعوريًا تميل إليهم، وهم الرجال الذين تستطيع السيطرة عليهم.. ولكن أصبح لديها الآن الوعي أن ذلك النوع من العلاقات غير مشبع، ولا يدوم..

نوع العلاقات القائم على السيطرة ..غير مشبع ولا يدوم..

بعد الوصول لتلك القناعات المشتركة معها، ورغم صعوبة التطبيق، فأنا أؤمن أنها ستجد علاقة ترضيها، وقد تعلمت بالطريق الصعب أن السيطرة لا تؤدى للسعادة..

---

(5) Neurosis

(4) Electra complex

(3) Unconcious mind

(2) أخيليس: هو أحد الأبطال الأسطوريين في الميثولوجيا الإغريقية، لكى يصبح خالدًا كان يجب أن يغطس في ماء نهر مقدس فأمسكته أمه من أحد كعبيه، وصارت المنطقة التي لم يغرقها الماء نقطة ضعفه، والتي قتل منها بعد ذلك..

(1) Emotional castration

(0) Neurosis

ويشاركها زوجها اللوم

هل تغيرت جينات المرأة؟؟ عبث أن لا نلاحظ كيف تغيرت نفسية المرأة في المئة عام الأخيرة.. يشهد على ذلك حديث هند بنت عتبة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما كان يبايع وفد النساء قوله تعالى: «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين).. (الآية 12- الممتحنة).. قاطعته قائلة: يا رسول الله أوتزني الحرة!!

لم الآن صار المجتمع أكثر لينًا (وليس موافقة) على العلاقات خارج إطار الزواج؟؟ ما أريد أن أشير له هنا، هو تغير ليس فقط في النظرة للمرأة، ودورها في المجتمع، بل في جينات المرأة من حيث تقبلها لإمكانية الخيانة.. وإمكانية وجود الطرف الثالث في العلاقة..

الخيانة في حد ذاتها ليست مرضًا نفسيًا، ولكنه قصور في الشخصية، ولا يمكن أبدًا اعتباره جزءًا من الحرية الشخصية، ولا يمكن أيضًا التسامح فيه باعتباره انتشر في المجتمع، من باب قبول الشائع! الخيانة كأحد أعراض القصور في الشخصية تعتبر نوعًا من التشوه المشاعري، أو الضعف المرضي..

ولكن بلا جدال لا يمكن النظر إلى خيانة المرأة دون النظر إلى الكيفية التي ساهم بها زوجها (أولًا) في انحرافها الأخلاقي.. صحيح أن كلًا منا مسئول ومحاسب

على أخلاقه الشخصية، ولكن القاضي ينظر دائمًا إلى الظروف المحيطة قبل إصدار الحكم.. وإن كنت كشخص لا أميل أبدًا إلى إصدار الأحكام، «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر»..

العبارة التالية منقولة عن أحد الأطباء النفسية، أي أنها رأي، وليست قاعدة.. «إن لم تكن المرأة الخائنة شديدة المرض النفسي، فإن زوجها (بلا شك) هو السبب.. بل وفي العديد من المواقف يلام أكثر منها.. الجنس الزوجي يعد سببًا قويًا في خيانة المرأة..

(أميرة) فتاة محجبة، ولم يكن لديها أي علاقات، وكانت معلوماتها الجنسية ضحلة جدًا، قبل الزواج.. تزوجت في أوائل العشرينات من زميلها في الجامعة..

وكانت معلومات زوجها الجنسية رغم كونها أكثر منها قليلًا، إلا إن مصادرها كانت غالبًا غير علمي، ومعظمه كلام الأصحاب، مواقع إباحية، خبرات غير مكتملة..

بمعنى آخر كان جاهلًا باحتياجات زوجته البيولوجية، وغاب عنه أن رغبات زوجته مختلفة، عن رغباته.. وبدلًا من أن يحاول فهم الإحباط الذي يحدث في بداية الزواج يتسرع بعبارات مثل: «أنت لست بقية النساء»، «فيك شيء ليس طبيعيًا»، «ابحثي عن علاج للبرود الجنسي الذي تعانين منه».. عبارات صادمة لامرأة ما تزال تتعرف على أنوثتها، وعلى بصمات جسدها الجنسية في بداية الزواج..

غالبًا ما يبحث الرجل غير المتمرس على متعته مفترضًا - وهو على خطأ- أن ما يشعر به يعنى بالضرورة ما تشعر به زوجته، (والتي يمنعها الخجل/ الألم/ قلة الخبرة) من الاستمتاع..

وبالتالي فنادرًا ما تشعر تلك الزوجة بالنشوة الجنسية أو لذة الجماع.. وغالبًا ما تدعي المتعة/ الفرحة، لجهلها بما يجب أن يكون، خوفًا منها أن تسبب مشكلة غير مبررة..

وبعد أسابيع/ شهور/ سنين، من الصمت تطلب (أميرة) من زوجها أن يمهد قليلًا قبل بداية العلاقة أو الولوج، أو يطيل من الأحضان والقرب قبل الجنس الفعلي وبعدها (إن كان محترمًا ويهتم بمشاعر زوجته، فلا يعطيها ظهره بعد الانتهاء).. ويحاول هو الإصلاح مرتين، أو مراعاة طلباتها، ولا يلبث أن ينتكس بعدها مباشرة.. لكن نادرًا ما يلتزم بذلك على المدى البعيد خوفًا من ضياع القدرة الجنسية إن أطال مدة المداعبة.. وتحرج هي أن تعيد الطلب..

أو قد يسبها إن كان جلفًا جاهلًا قائلًا: «إن الزوجة المحترمة لا تتكلم في تلك الأشياء».. واستمرا على ذلك الحال ثلاث سنوات.. كانت موظفة في بنك، شاغلها أحد زملائها، ولعب على أوتار أنوثتها.. أسمعها كلمات لم تسمعها قط من زوجها، كان يهتم بها، بصحتها، يستمع لأخبارها باهتمام حتى التافه منها.. يلاحظ أقل تغيير في شكلها ويثني عليه، وكان أكثر من زوجها خبرة في كيفية

العزف على أوتار أنوثتها.. ولم تلبث أن طلبت الطلاق وتزوجت عشيقها...

هل رأى ذلك الزوج أبدًا إنه يشترك في الوزر؟ لقد زرع داخل زوجته الخوف من كونها امرأة باردة، فهل غريب أن تضعف أمام أول رجل أشعرها بأنوثتها وجمالها ؟ أنانية الرجل في إفساد متعة المرأة، وإحساسه إنه وحده على حق وإنه يمتلك كل المعلومات..

احتياجات المرأة في العلاقة مختلفة تمامًا عن احتياجات الرجل.. ما يرضيه في العلاقة ليس بالضرورة أن يكون كافيًا ومشبعًا لها.. والعكس صحيح..

بلا جدال إن كثيرًا من النساء يحتجن إلى قليل/ كثير من الدفء قبل العلاقة الفعلية، وبلا جدال إن المناطق التي تثير المرأة واحتياجاتها مختلفة تمامًا عن الرجل.. وقليل من الرجال يتوقف قليلًا ليسأل عما تريده، وعن احتياجاتها بدلًا من السؤال -الذي يُلقى في صورة اتهام- «هل استمتعت؟».. إن أهتم بالسؤال عن مشاعرها أصلًا..

وتكون جريمة إن أجابت بالنفي، وكثير من النساء يشعرن بالخجل أو الخوف من توضيح رغباتهن الحقيقية.. وهذا له تفسير في نظرة المجتمع للمرأة وكأنها صدى للرجل ومن سوء الأدب أن تعبر عن رغبات أو احتياجات جنسية..

بلا جدال أيضًا إن ما يثير المرأة من ألعاب الحب يختلف كثيرًا عن ما يثير الرجل.. احتياج المرأة إلى مقدمات قبل

ممارسة الجنس نفسه لا يوجد اختلاف فيه، وإن اختلفن في المدة الكافية للوصول للإثارة التي تؤهل للدخول في العلاقة، وكثير من الرجال يتجاهل تلك الحقيقة معتقدًا (بجهل) أن ما يرضيه، يرضيها بالضرورة..

وللأسف حقيقة أيضًا أن كثيرًا من النساء لا يعرفن ما يرضيهن أصلًا.. وهذا يحتاج إلى الحوار بين الزوجين مع الكثير من التجربة والرفق (في تبادل المعلومات وتجنب الاتهامات)، والصراحة دون إيلام..

يجب على كل من الزوجين أن يكون لديه الانفتاح الكافي لتجربة أشياء جيدة في ممارسة الحب.. أوضاع جديدة.. أماكن جديدة.. تكتشف فيها الزوجة نفسها وما يثيرها.. ولعل التجربة وحدها هي السبيل الأمثل لكثير من النساء اللائي لا يعرفن كيف يصلن للنشوة الجنسية..

ولكن في التجربة الجنسية الزوجية يجب أن نلتفت لنقاط شديدة الأهمية..

أولها: قد تكون هناك ممارسات جنسية (مشروعة) يجدها أحد الزوجين غير مرغوب فيها، أو مكروهة أو مؤلمة.. إصرار الزوج على ممارستها تجده الزوجة منفرًا، وقد تؤدي إلى ضرر نفسي أكثر بكثير من المتعة.. وإن كانت نصيحتي ألا ترفضي لمجرد الرفض أو الخوف من التجربة، لا بد أن تجربي على الأقل مرة واحدة قبل الرفض.. لأن الخيالات الجنسية هامة جدًّا في إذكاء روح الشغف في

العلاقة وإبعاد الملل..

ثانيهما: أن التجربة لا تعني الممارسات الشاذة أو المؤلمة أو المحرمة.. الممارسة الجنسية الصحية الممتعة، والتي تحوي قدرًا كبيرًا من التواصل والصراحة والمكاشفة (غير المهينة)، هي التي تساعد على الوصول للنشوة الجنسية..

موقف الزوج العاطفي تجاه زوجته، تعبيره عن تقديره لها، إطراؤه لجمالها، حساسيته لما يثيرها ويحرص عليه، والبعد عن ما يؤلمها بلا ضرورة، هو أحد العوامل التي تساعد أو تمنع عن الخيانة الزوجية..

الخيالات الجنسية هامة جدًّا في إذكاء روح الشغف في العلاقة وإبعاد الملل..

في قصة (سمر) كان الزوج يرى نفسه سيد الأسرة، وكثير من النساء يقعن في تلك القصة.. الانتقال من أسر الأب إلى أسر الزوج..

في قصتنا كان الزوج شديد الشك في كل خطوة تقوم بها الزوجة.. وذلك لخبرة سابقة سلبية في حياته.. كان يسمح لها بالقليل جدًا من الحرية.. لم يكن يسمح لها بالخروج دونه، أو الذهاب إلى مكان دون علمه، كان يشتري هو فقط طلبات المنزل، حتى ملابسها الخاصة، كان لا بد أن يذهب معها لشراءها..

إن ذهبت إلى بيت والدتها لا بد أن يستجوبها: «من كان موجودًا؟ كيف دار الحديث؟ محتوى الحوار

بالتفصيل؟.. حتى لو تكلمت مع صديقات لها، فكان يسجل لها مكالماتها ليعرف فيما تكلمن، وليحكم على شخصية صديقاتها.. وعند أي تفصيلة صغيرة لا تعجبه يمنعها عنهن..

ومع الوقت أحست الزوجة وكأنها في سجن.. فقدت روح المبادرة.. فقدت الثقة في نفسها.. أصبحت تخشى القيام بأية خطوة خشية الوقوع في الخطأ.. أصبحت تشعر وكأنها تختنق حتى الموت..

وعرفت شخصًا على مواقع التواصل الاجتماعي.. لم تحبه.. ولكنها أحبت اهتمامه بها..

أغريب هذا؟ أوليس حصار زوجها لها اهتمامًا؟ لا، لم يكن حصاره لها اهتمامًا، بل كان خوفًا.. كان شيئًا أشبه بنتف الريش، لاعتقاده أنها إن وجدت فرصة للفرار، ستفعل.. كان لا بد أن يمنع استقلالها عنه ماديًا أو معنويًا، ويمنع عنها أي نوع مساندة من أهل أو أصدقاء.. والغريب أن هذا الخوف تحول إلى نبوءة..

كان الشخص الذي عرفته، أصغر منها بسنوات.. وأرضاها كثيرًا أن تستعمله لتذل زوجها.. وفي إحدى نوبات الاستجواب المهينة من جانب زوجها، انفجرت فيه قائلة أنها تعرف رجلًا آخر.. وجن جنونه.. انهال عليها ضربًا، ففرت من تحت يديه واستغاثت بالجيران.. الذين طلبوا الشرطة لأنه كان قد دخل في نوبة غضب تشارف

الجنون، وكاد أن يقتلها..

جاءني هذا الرجل ليحكي لي حكايته، وكان يتكلم والشرر يتصاعد من عينيه.. عبثًا عندها تحاول إقناع الرجل بأي شيء غير الذي يراه.. وهو أنه كان زوجًا مثاليًا يعطيها كل ما تريده.. ونسي أو رفض أن يرى كيف عاملها كسجينة، وليس كزوجة..

لم يكن هناك أمل في إصلاح العلاقة الزوجية.. بل ورفضت الزوجة أية محاولة في الإصلاح اقتناعًا منها أنه لن يتغير، بل وقد يقتلها لأنه لن يسامحها أبدًا على كلامها مع غيره..

ما مشكلة هذا الرجل؟؟ هل كان يريد أن يثبت لنفسه أنه لا توجد امرأة شريفة، فأوجد في داخل زوجته الخائنة قبل أن توجد.. رفض أن يرى أنه لم يثق فيها من أول يوم زواج.. وأن قلة إيمانه بها، ومعاملته وألفاظه السيئة، وشكوكه فيها كانت سببًا أساسيًا في خيانتها له.. رفض الرجل أن يرى أن رغبة الانتقام هي من أحد أقوى دوافع الخيانة لدى المرأة..

ولماذا اختار (طبيبة) أنثى وليس (طبيبًا) ذكرًا؟؟ إنه لم يتخل عن قناعته أنه لا توجد امرأة شريفة وأخبرني بذلك في وجهي صراحة.. ولكنه كان يرفض أن يُري ضعفه لرجل آخر، لاعتقاده إن ذلك ينقص رجولته أمامه..

المعيار المزدوج لا يزال سائدًا في كثير من المجتمعات

العربية، إنه لا يزال (مقبولًا) أن يخون الرجل، وأن يتورط في علاقات خارج إطار الزواج.. وأن يكون لديه صديقات من محيط العمل والدراسة.. بينما ينكرون ذلك تمامًا على الزوجة..

كثير من النساء في أيامنا الحالية يرفضن ذلك.. ويرين الزواج كعلاقة متكافئة، كشراكة، حقوقي فيها متساوية مع حقوقك.. قد تخون الزوجة رغبة منها في الانتقام، لا أكثر ولا أقل.. ترغب أن تكون هي نفسها قادرة على إيذائه.. وأن تشعر أنها لا تزال مرغوبًا فيها، وإن تدخل هي أيضًا في علاقة: «لم أحافظ أنا على بيت وأطفال لم يبذل هو أي جهد في الحفاظ عليهم؟..

رأيت زوجين كلاهما على مستوى عال من الثقافة والرقي، كلاهما يبذل مجهودًا كبيرًا في الحفاظ على جسده وأناقته.. كان الزوج مجاملًا جدًا مع النساء، وكان يحب أن يكون محور اهتمام الجالسين، وكان يخبر زوجته أن ذلك لا يعنى له شيئًا.. رغم أنها ترد عليه دومًا أن مغازلته أو طريقته مع النساء تضايقها، بل وأعطته تلميحًا مبطنًا أنها تستطيع أيضًا أن تفعل المثل إن أرادت..

ولكنه لم يأخذها قط على محمل الجد لثقته فيها، ولاعتقاده أنها غير قادرة على الخيانة.. وفي إحدى المرات تورط في علاقة مع إحدى عميلاته في المكتب.. لم تكن تعنى له أي شيء إلا كونها مغامرة، ألقت نفسها عليه، ولم يحاول هو أن يرفض (بقوة).. ووجدت الزوجة (آثارها)

على ثيابه..

ولم تعلق الزوجة بشيء، لقد حذرته مرارًا، وكانت ضربة الانتقام حين اختارت زوج أحد صديقاتها.. لم يكن يعني لها أي شيء، ولم تشعر بأي تأنيب ضمير لعلمها يقينًا أن تلك العلاقة لن تستمر، ولن يترتب عليها أي أذى..

وكانت حريصة جدًا أن تجعل زوجها يشك، وأن تجعله يرى (آثار) العلاقة، والرسائل، ويرى تغيير المعاملة.. ملابس داخلية جديدة لا تلبسها له، اهتمام مبالغ فيه بمكياجها وتقلبات غريبة في مزاجها.. أصبحت ترفض النوم بجواره، وإن دخل عليها فجأة فإنه يرى ضوء الهاتف تحت الغطاء رغم تظاهرها بالنوم.. كلمة السر على الهاتف التي لم تهتم بوضعها قط..

فقد الزوج أعصابه، وواجهها بذلك، ولم تنكر.. بل وأخبرته أنها ستعاود الكرة ثانية، بل وفي كل مرة تكتشف فيها خيانته..

وبعد العديد من العواصف تصالحا، وحاولا العيش معًا كزوجين، ولكن الشرخ كان قد حدث في العلاقة، وعندها طلبا العلاج.

كان الانتقام يعمي الزوجة في البداية، ولكن بعدها أصابها الاكتئاب، وكان الذنب يقتلها لإحساسها أنها قد قللت من نفسها وخانت مبادئها.. وهو أيضًا كان لديه إحساس كبير بالذنب لاعتقاده أنه هو من دفعها لذلك

بسلوكه غير المسئول..

ولم تنتظم الزوجة في العلاج.. لقد تمكن منها اليأس، وتدمرت صورتها الذاتية، ولم تتمكن قط من مواصلة الزواج لغضبها الشديد من الزوج، وهي تشعر كأنه هو من دفعها لنار الخيانة.. لقد اكتشفت وإن كان متأخرًا أن الانتقام سكين يقتل، وقد يرتد على من أطلقه..

لقد كره كل منهما الشيطان الذي أطلقه الانتقام داخله.. لم تكن علاقة الخيانة هي التي أفسدت الزواج، ولكن معرفة كل منهما أنه ليس بالنقاء والمبادئ التي يظنها في نفسه..

الانتقام سكين يقتل.. وقد يرتد على من أطلقه..

أنواع الخيانة

هل هناك أنواع للخيانة؟؟

جاءتني سيدة تشكو زوجها أنه لا يتوقف عن الحديث مع السيدات على الهاتف أو على تطبيقات المواعدة.. وأنه لا يرى مشكلة في ذلك طالما هي ليست علاقات (حقيقية).. أي أنه لا يمارس علاقة جنسية أو يقابل من يحادثه وجهًا لوجه، بل وحتى ليس باسمه الحقيقي، فما الضرر في ذلك.. وعبثًا عندها تحاول إفهامه بأية طريقة إن طريقة الحياة تلك لا تناسبها، وصعدت الموقف عدة مرات، وأجلسته مع أناس من عائلتها وعائلته، ولا فائدة.. لا تريد الطلاق، وأخبرتني والدموع في عينيها أنها واثقة من حبه لها، وهي أيضًا تحبه وبينهما ثلاثة أطفال.. لا يتوقف عن العلاقات ولكنه لا يتوقف عن (تنظيف) الهاتف وهي لا تتوقف عن الشك فيه ومراقبته، حتى استحالت حياتهما جحيمًا..

لو كنت ضحية للخيانة الزوجية فأول سؤال سيطاردك فور علمك بالقصة هو «لماذا؟؟».. إن خسائر الخيانة فادحة، وأولها وليس أقلها الألم النفسي، ولذلك فإن السؤال الطبيعي هو «لماذا؟».. وإن كانت الإجابة لن تجلب لك أي نوع من الراحة.. ولكنها على الأقل ستساعدك على الانتقال من المربع الحالي لو لم تغرق في الرثاء والشفقة على الذات ويا «عيني عليَّ».. هل ستعمل على إصلاح بقايا

تلك العلاقة؟ أو تأخذ قرار الانفصال وتحاول لملمة شتات نفسك..

ظهور طرف ثالث أو (أطراف) ثالثة هو بلا جدال نوع من الخيانة، وفيما يلي أشهر الأنواع التي قد نراها حولنا:

1 - خيانة الفرصة:

ليس كل فعل خيانة يكون نتيجة سابق إصرار أو ترصد.. أحيانًا يكون الشخص على ثقة أنه يحب شريك حياته أو نوعًا ما راضٍ عما تقدمه العلاقة له، ولا يرغب أبدًا في تركه أو إنهاء العلاقة.. ولكنه يستسلم للرغبة أو للملل ورغبته في تغيير روتين الحياة.. يستسلم لرغبته في الخطر وإحساس المغامرة.. وليس كل فعل خيانة يكون وراءه عدم رضا عن العلاقة الحالية، نعم.. على قدر ما هو محبط هذا الكلام فإن العلاقة التي قد زلزلت حياتك كان بطلها عبارة عن «صدفة».. فقط.. وكلما كان الحب للطرف الأول في العلاقة موجودًا زاد إحساس الذنب بعدها.. وكلما زاد الوقت ولم تُكتشف العلاقة قل إحساس الذنب..

2 - خيانة الواجب

وعلى قدر استفزاز ذلك العنوان لكنه أيضًا جزء من أسباب الخيانة.. كثيرًا عندما يقوم شخص بالاقتراب من شخص متزوج، فجزء أساسي مما يتم يُقدم هو تضخيم أهمية تلك العلاقة، وكيف أن حياته ستتدمر دونها.. وأنه لن

يحتمل الرفض لأنه أمله الأخير في السعادة.. وغالبًا ما تُقدم محفزات جنسية كمحفز لبقاء علاقة الخيانة..

غالبًا الشخص الذي يقوم بالخيانة لا يكره شريكه الأصلي ولكن ذلك لا يمنعه من فعل الخيانة.. لإحساسه بالامتلاء والإشباع والتقبل الذي تقدمه العلاقة الجديدة.. يحدث هذا عادة في أثناء أزمات منتصف العمر، حين يبدأ الشخص في التوقف عن تلقى كلمات الإعجاب والإطراء من الطرف الأصلي في الزواج، ويبدأ في التشكيك في أهميته في العلاقة، مما يجعله فارغًا وضعيفًا، ويجعل استسلامه أسهل لأي عامل خارجي يشعره بأهميته، وتفرده.. إذن أين يأتي الواجب هنا؟ يأتي من إحساسه أنه من (واجبه) أن يضحى بنفسه بالاستمرار في الزواج الأصلي ويصور له شيطانه أنه من حقه في أثناء ذلك أن يجد من (يراه) ويشعره بأهميته.

3 - الخيانة الرومانسية

أحيانًا ما يكون النقص العاطفي في العلاقة الأصلية سببًا في الدخول في علاقة الخيانة.. تكون الخائنة ملتزمة بالعلاقة الأصلية/ الزواج، وفي رغبتها أن يستمر.. ولكن الاحتياج العاطفي غير الملبى داخلها سرعان ما يتحول إلى ثقب أسود يمتص كل مظاهر السعادة والرضا من حياتها.. وغالبًا ما تغرق في أحلام اليقظة عن حياة مختلفة يتحقق فيها الحب الخيالي الذي تحلم به.. والتي غالبًا ما تتحول إلى نداء يلبيه أول من يسمعه.. ولأن الطرف الخائن لا ينوى ترك

علاقة الزواج فغالبًا ما تأتي الإفاقة من ذلك النوع قاسية ومؤلمة جدًا لكل الأطراف وخاصة لو اكتشفت، ونادرًا ما تنتهي بعلاقة حقيقية (أي زواج) للأطراف الخائنة..

4 - خيانة الحيرة ولخبطة المشاعر

أحيانًا ما يكون الزواج لا يعانى من مشاكل (كبرى)، فلا توجد إساءة معاملة، ولا أذى من أحد الطرفين للآخر، ولا حتى بخل مادي.. ولكنها علاقة باردة، تفتقر إلى الألعاب النارية، وغالبًا ما تحكى الزوجة أنها من بداية الزواج «لا تشعر بشيء، لا تحب الجنس معه ولا تكرهه.. إنه بالنسبة إليها واجب، مثله مثل غسيل الأطباق (لا أحد يحبه)، وبين العديد من «الآه والأوه» تحضر في ذهنها قائمة للتسوق.. تسمع عن الحب في الأغاني، وترى المشاهد الجنسية في الأفلام وخاصة مع العصر الإباحي للقنوات الفضائية، وتشعر أنها قد خدعت، ولا تدري لمن تشكو.. وتتساءل: «أين العيب؟ ما المشكلة فيَّ؟ لماذا لا أشعر؟ لماذا أشعر بالرغبة الجنسية أحيانًا وتنطفئ فقط عندما يقترب؟؟

ثم يأتي المنحدر، «هل سأشعر مع رجل آخر؟» ويحدث الانزلاق عندما يشعر ذئب وحيد بالنداء ويلبي.. وللأسف غالبًا ما تشعر بالنشوة الجنسية معه، وذلك لأن هناك إثارة في البنفسج المختلس، ولكنك غالبًا ما تنتهي برائحة الثوم المسروق في يديك..

5 - أنواع أخرى

ولن ننسى أيضًا أنواعًا أخرى قد تخون بها نفسك وشريكك، وقد تكون أسوأ من فعل الخيانة الجسدية مثل:

احتياجاتي أنا أولًا: أن تكون لاحتياجاتك الأولوية دائمًا.. لا بد أن يكون هناك توازن في العلاقة، فترى أيضًا احتياجات الطرف الآخر في العلاقة.. وأن تشعره دومًا بالتقدير لوجوده في حياتك، أن تحب يكون دومًا أكبر من قول الكلمات، لأن الأفعال أعلى صوتًا..

- أن تأخذ شريكك مسلمًا به في العلاقة: عندما يمر وقت طويل في العلاقة، فإنك توقف عن النظر إلى شريكك كشخص منفصل في العلاقة، ولكن كجزء من العائلة.. إنك تجد نفسك وقد توقفت عن البحث عن مواضيع مشتركة.. توقفت عن محاولة إثارة إعجابه، توقفت عن قول أحبك، أو أي كلام (حلو) آخر.. عندما تتوقف عن قول «لو سمحت»، و«شكرا».. فإنك تأخذ الآخر مسلمًا به.. وسرعان ما يتراكم إحساس عدم التقدير والرفض لدى الطرف الآخر في تلك العلاقة..

- الخيانة العاطفية: عندما تبدأ في مشاركة أسرار عن شريك حياتك، وتبدأ في إذاعة أسرار بيتك، وذكر عيوب الطرف الآخر، والأسوأ حياتك الخاصة لأصدقائك، لإخوتك، لزميلك/ زميلتك في العمل، لأمك.. أشياء لا تشاركها مع شريكك أو تحاول حلها، فهذا يستهلك

الطاقة من علاقتك الأساسية.. كان لدي عميلة تراقب هاتف زوجها دون أن يعلم، وكانت تقرأ كل المحادثات بينه وبين أخته «عنها».. كان يشارك أخته في كل شيء تفاصيل الحياة بينهما وصولًا إلى الفراش، وغني عن الذكر أنها كانت مليئة بالعيوب والانتقادات.. كان يشارك أخته تفاصيله المادية، أشياء لا تعلم عنها هي أي شيء.. وكانت تحكي لي عناء التمثيل أمامه أنها بخير بعد أن قرأت (شتيمته) عنها وتحريض أخته عليها.. كانت تتمنى الموت لأخته وتكرهه عن جد.. «كان يحول كل أفعالي لنكات واستهزاء مع أخته.. كنت أتمنى لو وجد لي شيئًا جيدًا يقوله».. لن تتركه! لقد كانت تحب وضع حياتها الذي يوفره لها ولأولادها، ولكنها كانت تخبرني أنه يوم أن يقع مريضًا ستستمتع بإخباره عن كل ما تعرفه وكل ما قاله».. الخيانة العاطفية أسوأ كثيرًا من أي علاقة جسدية يمكن قطعها.. وأكثر صعوبة في الإصلاح من الخيانة الجسدية..

- عدم الدفاع عن شريكك: إننا فريق واحد.. لا يجب أبدًا أن تنسى ذلك في العلاقة.. إن حاول أحد الإساءة أو التقليل من شريكك لا بد أن تدافع عنه.. لا يهم أمام من، أمك، أختك، أصدقاءك، غرباء.. إنه الشخص الذي اخترته لتكمل حياتك معه، ويكون في كثير من الأحيان أقرب ما يكون لجلد ثانٍ لك.. وأنا أفهم صعوبة أخذ ذلك الموقف أمام عائلتك.. وكثير من الرجال يرون

أنه من الحكمة أن يترك الموقف يمر دون تعقيب أو دفاع منه، ثم يراضي زوجته وهم بمفردهم.. قد تبلع الزوجة ذلك على مضض ولكنها لن تسامحه أبدًا لعدم الدفاع عنها أو قول أشياء جيدة عنها في حينها..

- الكذب على شريك حياتك ولو حتى في أشياء تافهة: خداع أقرب شخص إليك في الحياة لهو من أقسى الانتهاكات التي ممكن أن تحدث في العلاقة.. الكذب غير مقبول على الإطلاق في الزواج وكفيل بتدمير الثقة تمامًا بين الزوجين.. إن كنت تخفي أشياء عن زوجك، فلم دخلت في العلاقة من الأساس؟

- استخدام نقاط ضعف شريكك ضده: نوع من الإيذاء الخفي الذي قد يكون مدمرًا لنفسية الشخص أكثر من أي شيء.. «إنني أعرف كيف أعطيها كلمات توجعها وأنا أتظاهر بالبراءة.. لن أترك حقي، أستطيع تمامًا أن أقرصها بالكلمات.. تصرفات كهذه كفيلة أن تملأ شريكك بعدم الأمان.. إنك تعرف نقاط ضعفه وتاريخه وما أخبرك به في لحظات ثقة ضد عائلته وتستخدمه ضده.. لست أدري إن كنت أنت هكذا وأنت أقرب الناس إليه، فماذا تركت لأعدائه؟..

- إبعاد نفسك عاطفيًا: الإهمال وعدم الاهتمام كفيل بإطفاء جذوة أي علاقة.. عدم محاولة إيجاد أي اتصال عاطفي، روحي، أو فكري بينك وبين شريكك.. التوقف عن إيجاد أرض مشتركة أو حتى أنشطة مشتركة.. عندما

تكون في غرفة واحدة مع شريكك ولكن يفصلكم آلاف الكيلومترات.. عندما يصبح أسهل أن أتحدث مع زميلي في العمل عن مع زوجي فإن علاقتنا في خطر..

- الضغط على شريكك للتغيير: لا أحد يتغير.. عندما تدخل في علاقة فإنه اتفاق ضمنى أنك تقبل (جميع) ما تراه وتحبه من أجل عيوبه وليس بالرغم منها.. وليس على أمل أنك ستتمكن من تغييره مع الوقت.. قول أشياء مثل: إن شريكي مثالي فقط لو كان (يصلي.. لو توقف عن التدخين، لو خسر وزنًا، لو كان مسئولًا أكثر..)، ما تراه هو ما ستجده في العلاقة.. لا يتغير البشر من أجل أناس آخرين.. يتغيرون فقط عندما يشعرون باحتياج للتغيير..

تأثير الخيانة..

دعنا نتفق أن السعادة ستظل دومًا هي المسعى الدائم للإنسان.. قد يعتقد الشخص (رجلًا كان أو امرأة) حين يكسر عهود الزواج، ويتورط في علاقة ما خارج إطار الزواج، أنهمن حقه فعل ذلك، لأنه يبحث عن السعادة وأيامه في الحياة معدودة..

ولكن بعد سنين عديدة من الخبرة والتعامل مع آلاف الأزواج، وجدت أنه نادرًا.. نادرًا.. نادرًا.. ما تنجح علاقة الخيانة، وتكمل إلى زواج طبيعي بلا مشاكل..

عادة ما يكون هناك ضحايا لتلك العلاقة.. قد تكون في دمار للأسرة الأولى، أو الأسرة الثانية، أو للأطفال.. ونادرًا ما يثق الرجل في امرأة تركت زوجها لأجله.. في عقله الباطن يؤمن تمامًا أنها ستفعل به ما فعلته بزوجها..

والغريب في قصة الخيانة، أنها حتى لو جهل الرجل خيانة المرأة فدائمًا وأبدًا ما تؤثر على صحة الأسرة.. لأن الخيانة تخلق داخل المرأة حواجز تجاه زوجها، نادرًا ما يمكن تكسيرها حتى لو سامحها الزوج.. والغريب أيضًا أن ذلك لا يحدث في خيانة الرجل.. وكأن المرأة لاشعوريًا تعرف أن لدى الرجل استعداد فطري للتعدد.. ولذلك فكثيرًا ما رأينا حالات تستمر فيها الزوجة -ولو بمرارة- في الحياة الزوجية بالرغم من خيانة الرجل..

وكأن المرأة عندما تخون فهي تفتقر لصفة البقاء أو

الكفاح في الحياة الزوجية، أو ربما أصابها اليأس من صلاح الأحوال، وكأنما بالخيانة فهي تقوم بتدمير المعبد عليها وعلى من حولها..

وفي بعض الأحيان قد تدرك المرأة قيمة زوجها بعد (حادثة) الخيانة، ولكن بعد أن يكون شيء قد تكسر داخلها، فتفقد تمامًا القدرة على الوصول إلى النشوة والمتعة في العلاقة الجنسية.. فتبدو المرأة وكأنها تعاني من البرود الجنسي..

عادة ما تتورط المرأة عاطفيًا قبل جسديًا في علاقة الخيانة.. وعاطفيًا هنا لا تعنى مشاعر الحب فقط.. يكفى توهم الحب، أو الغضب، أو الرغبة في الانتقام ..

في المجمل، لا تستطيع المرأة أبدًا نسيان علاقة خيانة مرت بها، ولا أن تستأنف الحياة كأن شيئًا لم يحدث.. بعكس الرجل.. وهذا لأن عادة ما تتورط المرأة عاطفيًا قبل جسديًا في علاقة الخيانة.. وعاطفيًا هنا لا تعني مشاعر الحب فقط.. يكفي توهم الحب، أو الغضب، أو الرغبة في الانتقام..

وهذا يجعل انتهاء العلاقة مدمرًا للمرأة أكثر بكثير من وقع انتهاء العلاقة العاطفية عند الرجل.. وغالبًا ما تستمر الزوجة الخائنة في معركتها الخاصة مع نفسها فترة طويلة حتى بعد انتهاء العلاقة.

شاهدت زوجة قد تورطت في عملية الخيانة، كانت بداية

قصتها عندما صادفت حب الطفولة بعد سنين، كانت علاقتها الزوجية فاترة جدًا، كان زوجها رجلًا مناسبًا، هادئًا إلى حد الملل (حسب وصفها)، بلا أية مشاعر.. وعرف الرجل الآخر كيف يغويها إلى علاقة الخيانة، والتي انزلقت إليها ظنًا منها أنه سيتزوجها إن تركت زوجها.. إلا أنه سرعان ما تخلى عنها، واختفى تمامًا بعد أن مل العلاقة..

وبعد انتهاء العلاقة وتخلي العشيق عنها للدراما التي أصبحت تفعلها، ومطالبتها إياه أن يطلق زوجته وتترك هي زوجها ويتزوجا، وهو ما لم يكن مستعدًا له.. كان كل ما يريده علاقة سريعة تذهب الملل من حياته، ولكنه لم يكن ينتوي أبدًا أن تتطور العلاقة أكثر من هذا.. قتلها الندم لدرجة أنها أرادت الاعتراف لزوجها.. واعترفت فعلًا لأولادها، الذين نصحوها ألا تبلغ زوجها حفاظًا منهم على الأسرة.. ولكن إحساس الذنب كان يقتل الزوجة.. ورؤية زوجها كان يميتها ندمًا يوميًا.. فكأنها توقفت عن الرغبة في الحياة.. أصبحت لا تترك الفراش إلا نادرًا، لا تفعل أي شيء بالمنزل، ولا تعتني بأولادها، ولا حتى بنفسها..

أثار منظرها ريبة الزوج.. وخاصة وقد عرضها على العديد من الأطباء الذين أجمعوا أنه لا يوجد بها علة عضوية، وتحتاج إلى الطب النفسي.. ولم يقتنعوا بذلك..

واستمرت الزوجة في تعذيب نفسها بتلك الطريقة فوق

العشر سنوات، وخاصة وأن الزوج كان يعاملها برفق ظنًا منه أنها مريضة ولا يحاسبها على إهمالها بالمنزل، مما يزيد من إحساسها بالذنب.. كانت كلما عاملها زوجها برفق ازداد إحساسها بالذنب، وكانت على شفا إخباره عدة مرات بالحقيقة، ولكن ابنها -والذي أخبرته بالحقيقة في إحدى نوبات انهيارها- كان يمنعها بشدة خوفًا أن يقتلها أبوه..

ووصلت حتى إلى مرحلة أنها تعامله بجفاء.. ترفضه بعنف.. تستفزه حتى يضربها.. تريد أن تجد فيه عيبًا يبرر لها خيانتها.. فتستفزه لإيذائها.. صار مخطئًا في كل شيء.. كل شيء نسي أن يفعله، وكل شيء فعله.. إن اهتم، وإن نسي.. إن تواجد، وإن غاب..

حين تريد المرأة أن تجد مبررًا للخيانة.. يصير كل ما يفعله الزوج خطأ. كل شيء نسيه ولم يفعله، و كل شيء فعله.. إن اهتم وإن نسي.. إن تواجد، وإن غاب..

صارت الحياة جحيمًا بالنسبة للزوجين معًا.. قلة نادرة من النساء، من يسرن في طريق الخيانة ويستطعن العودة.. أي العودة إلى الحياة الزوجية دون أثر نفسي.. ودون أن يتشوه شيء بداخلهن.. فيستطعن العيش بطريقة طبيعية وكأن شيئًا لم يكن..

لقرون كثيرة كان الاعتقاد أن المرأة لا تقدر إلا على علاقة أحادية (مع شخص واحد).. لا تستطيع أن تشعر

بالسعادة إلا مع رجل واحد.. على عكس الرجل الذي يستطيع العيش مع عدة نساء (أربعة في الدين الإسلامي)، أو يكون في عدة علاقات، ويستطيع أن يوزع قلبه عليهن، وإن تفاوتت النسبة..

السباحة ضد التيار قد تغلب أقوى السابحين، خاصة إن ارتفع البحر وعلت الأمواج.. بمعنى أنه مهما بلغت درجة ذكائك، التغييرات الجسدية والعاطفية التي تتعرضين لها محاولة إخفاء علاقة أخرى لا بد وأن تظهر عاجلًا أم آجلًا.. مع الوقت ستصبح عاجزة عن الاستمتاع جنسيًا في كل من العلاقة الخاطئة ومع زوجها.. الضغوط الاجتماعية للتربية والدين والمجتمع والتي تسبح الخائنة عكسهم، كفيلة بإفساد أية متعة، بل والسلام النفسي لأي شخص..

كثيرًا ما سمعت من رجال ونساء تورطوا في الخيانة، أن العلاقة الخاطئة التي دخلوا فيها كانت سببًا في (إنقاذ) زواجهم.. «لقد أصبحت أعامل زوجي/زوجتي وأولادي بطريقة أفضل وأصبحت أعطيهم أكثر.. لقد أعطتني تلك العلاقة التوازن الذي أحتاجه في حياتي»..

ولكن واقعيًا كطبيبة نفسية لم أر قط أية علاقة خارجية تعالج زواجًا فاشلًا.. بل وإني دائمًا أحذر من (الطرف الثالث).. لن يتحمل أبدًا أحد الطرفين الضربة القاصمة لصورته الذاتية، ولكرامته واحترامه لنفسه، عند معرفته أن شريكه قد فضل أحدًا عليه.. كثيرًا ما سمعت النساء وهن

يستشطن غضبًا أن الطرف الثالث كان أقل منها جمالًا أو مستوى.. والرجل لن يحتمل أبدًا أية معلومات عن علاقة خارجية، ستكون ضربة قاصمة لرجولته، ولن تستقيم الحياة بعدها بينهما أبدًا..

المرأة هي عماد الأسرة، هي الزوجة والأم، ومدبرة المنزل.. وعليها يتوقف اتزان الأسرة.. ولذلك إن كانت غير مستقرة أو غير متزنة أو تتقاذفها رياح خارجية، فإن العائلة كلها تصبح في خطر بالغ.. إننا أمام امرأة فاقدة لعقلها، مشاعرها تجتاحها عاصفة من الذنب والخزي وفقدان السيطرة.. وغضب قاتل من ناحية الزوج إن اكتشف تلك العلاقة..

(نسمة) فتاة في العشرينات، تزوجت من رجل أحبها جدًا.. وأفسدها مكملًا بهذا الطريقة التي تربت عليها.. حيث كانت كل طلباتها مجابة.. ومع الوقت تسلل إليها الملل.. هي كانت عاجزة عن إكمال دراستها، لأنها كانت عاجزة عن الالتزام المطلوب، وبالتالي لم تعمل قط.. وإن كان أهلها قد نجحوا في شراء شهادة متوسطة لها بالأموال..

دخلت في علاقة عن طريق شبكة التواصل الاجتماعي، كان رجلًا أكبر منها بعشرين عامًا.. كثير التجارب.. تمكن من قراءتها من أول محادثة.. كان يرضي غروره أن يوقع بفتاة في العشرين.. وأن يستطيع السيطرة على أفكارها ومشاعرها، بل وحياتها بأكملها..

كان لديه قدر كبير من السادية.. وعلمها ألعابًا جديدة في الممارسة الجنسية.. ولا شعوريًا بدأت في تطبيق تلك الأساليب مع زوجها.. والذي كان تقليديًّا جدًّا، وعديم الخبرة.. ولكن تلك الطريقة الجديدة في الممارسة الجنسية من جانب زوجته بدأت تثير شكوكه.. قام بمراقبتها، واكتشف كل شيء..

فحتى لو استطاع الزوج أن يسامح زوجته على الخيانة، فلن يستطيع أبدًا أن (ينسى).. وسيظل الرجل الآخر للأبد ثالثهما في الفراش..

وبعد فترة من الإنكار، اعترفت بكل شيء أمام الأدلة التي واجهها بها.. ورغم محاولتها إنكار أهمية تلك العلاقة بالنسبة إليها، وكونها استمتعت مع الرجل الآخر.. لكن كرامة زوجها كانت قد تلقت ضربة موجعة.. وتم الطلاق.. لأن أثر الخيانة على الزوج كان فظيعًا.. حيث أنه كان قد قرأ محادثاتهم كاملة على الشات، ووجد أنه أقل من الرجل الآخر في الخبرة، والمعلومات والتجارب.. أقل في كل شيء.. ولا ريب أن تلك الحادثة قد أصابته بالعجز الجنسي فترة طويلة بعدها..

واقعي أيضًا أن المرأة تقبل خيانة الرجل بصعوبة.. ولكن تقبل الرجل خيانة زوجته تكون صعوبته أضعافًا مضاعفة.. لأنه لا شعوريًا حين يقدم على الزواج بامرأة يعاملها على أنها ملكية خاصة به.. فحتى لو استطاع أن

يسامحها على الخيانة، فلن يستطيع أبدًا أن (ينسى).. وسيظل الرجل الآخر للأبد ثالثهما في الفراش..

قد يكمل الزوجان العلاقة بعد اكتشاف الخيانة لأسباب عديدة، منها الأطفال، الشقة، الأمان المادي، عدم القدرة على احتمال الفشل أو العار أو رفض العائلة.. وغالبًا ما يكون السبب المعلن هو الخوف على الأطفال.. قد نتمكن من إصلاح الثوب الممزق، ولكنه غالبًا وأبدًا سيظل ضعيفًا ولا يكون أبدًا في قوة قماش لم يتم تمزيقه..

(منى) عارضة أزياء مشهورة.. تعودت على ملاحقة الرجال لها.. تعودت على كلمات الإطراء والإعجاب.. ومع الوقت تعلمت أن قيمتها هي جسدها.. ومع تقدم العمر بها.. وكونها في مجال قاسٍ، ولأنها ذكية، تطورت للعمل في مجال الأزياء.. وتزوجت شريكها الذي كان أكبر منها بعشر سنوات.. كانت لا تزال تفرح جدًا بالإطراء.. ومن حين لآخر تغض النظر عن لمسة قد تبدو بريئة، أو تلميحات جسدية.. لأن ذلك كان يحقق لها الإشباع الذي تحتاجه.. وكان زوجها أيضًا ذكيًا، متمرسًا في الحياة.. كان يرى كل هذا، ويتغاضى عنه لأنه (جيد للعمل)، كان يرى أن علاقات زوجته وجمالها سببًا أساسيًا في تطور العمل.. وكان هو شخصيًا لديه الكثير من العلاقات على هامش العمل.. واستمرت تلك الديناميكية وقتًا.. كلاهما يرى، وكلاهما يتظاهر بالعكس.. وكان طبيعيًا مع الوقت أن تأتي عارضة أخرى، أقل منها سنًا،

وأكثر جمالًا فنجحت في اختطافه منها.. ولم تستطع هي أن تتحمل تلك الضربة لكبريائها، فأنهت حياتها.. كانت قد هددت بذلك كثيرًا، وفي آخر مرة لم يأخذها أحد من المحيطين بجدية.. وللأسف فقد نجحت في ذلك في آخر مرة..

مع الوضع الاقتصادي الحالي.. فلا ريب أن الطلاق مكلف جدًا.. ونادرًا ما نرى الزوجين المتحضرين المتوافقين على حقوق كل منهما وواجباته بعد الطلاق.. ولكن السيناريو المألوف هو الطلاق القبيح.. محام لكلًا الطرفين.. يحاول إيقاع أكبر قدر من الأذى للطرف الآخر.. وفي الوسط يتساقط الأطفال.. وبجانب الخسارة المادية، هناك أذى المشاعر، وخسارة الوقت والعمر.. انتظارًا أن تتساقط أجزاء البازل في مكانها، ويعود القطار للقضيب.. ونادرًا ما يعود..

ورأيت كثيرًا الانتقام بعد الطلاق يمتد لسنوات طويلة مرة.. وكل ذلك لعجز أحد الطرفين أن يتقبل الخسارة ويستأنف طريقه..

قد نتمكن من إصلاح الثوب الممزق، ولكنه غالبًا وأبدًا سيظل ضعيفًا ولا يكون أبدًا في قوة قماش لم يتم تمزيقه..

طابع الخيانة الأزرق

عنوان غريب.. أليس كذلك؟ إنه مترجم عن لفظة إنجليزية، مقصود بها الختم أو الطابع.. مثل الأختام الموضوعة على الأوراق الحكومية.. والاستثناء هنا أن الختم ليس على ورقة وإنما على الروح..

حياة الخوف التي تعيشها الخائنة، في كل خطوة تمشيها قد تقودها وجهًا لوجه أمام شخصًا تعرفه.. شخصًا قد يخبر زوجها أنه رآها في مكان غريب مع شخص غريب..

في بلاد الفرنجة قد لا تكون هذه مشكلة كبيرة، حيث لا تتطلب الفنادق أو الموتيلات إثباتًا للشخصية أو عقدًا للزواج.. في بلادنا، تصبح القاعدة: «مكانك أو مكاني»

Your place or my place

وهي مصيبة كبيرة.. حيث أن هذا يؤدى إلى تطور العلاقة بسرعة مجنونة.. مما يجعل إمكانية العلاقات العابرة، والتي تحتوي على قدر كبير من الاستغلال الجسدي والمادي أكبر.. وعلى قدر ما يحب الرجل تلك الطريقة، إذ لن يضيّع رجل يقيم علاقة مع امرأة متزوجة وقتًا طويلًا (أو مالًا) في قعدات الكافيهات والمطاعم.. دعنا نكن صادقين!!

إن كل ما يرغبه منها (بالتأكيد) ليست شخصيتها، وإنما علاقة عابرة رخيصة.. علاقة يفرغ فيها هموم يومه

وإفرازات جسده.. علاقة لا مسئولية فيها ولا التزام.. علاقة الخروج منها أسهل من خروجك من (تواليت) عمومي على قدر قسوة ذلك التعبير وفجاجته..

ولعل هذا هو أسهل اختبار أطلبه من أية امرأة تتوهم حبًا من رجل: «هل لو نزعت الجنس (كلامًا وحديثًا وفعلًا وشاتًا..) من العلاقة، هل سيبقى معك؟؟ هل سيظل معك يسمع أخبارك بنفس ذات الاهتمام، ويسألك عن صحتك ويدفعك للاهتمام بنفسك، ويخبرك كيف أنك امرأة لا تتكرر وأن من حولك لا يقدرون نعمة وجودك في حياتهم؟»..

أؤكد لك، لا.. ستسمعين كلامًا مثل: «الجنس متاح في كل مكان ولكني أريده منك أنت».. «إني أشعر أنك زوجتي وأريدك أن تجعليني لا أحتاج إلى أي واحدة أخرى».. «لماذا لا تثقين فيَّ، منذ رأيتك لا أعرف أي أحد آخر، رغم كثرة علاقاتي السابقة، أتريدين أن أعود كما كنت سابقًا؟».. إنك أنت غير المتاحة، أنا من حقي الزواج في أي وقت، أنت وضعك الذي أنا مضطر لاحتماله، أتدرين ماذا أشعر حين أفكر إنه (أي زوجها) يمارس معك علاقة، أو يقترب منك بأي صورة؟»..

كما قلنا، على قدر حب الرجل لتلك الطريقة، ولكن غالبًا ما تكره المرأة جدًا تلك الطريقة.. قد تنجرف في حرارة اللحظة لرغبات الرجل وإلحاحه عليها..

هل لو نزعت الجنس (كلامًا وحديثًا وفعلًا وشاتًا) من علاقة الخيانة، فالأكيد إنه سيسارع بالرحيل ..

ولكن لديها وقت طويل بعدها تقضيه وحيدة.. ويبدأ التفكير.. ويبدأ الذنب ينغزها.. آلام في جسدها كله، وهي تجري وحيدة عائدة للمنزل.. تقفل الباب خائفة..تنط فزعة في كل مرة يرن فيها الهاتف خوفًا أن يحدث هذا في وجود زوجها.. خائفة من ملاحظة الزوج، أو طلبات العشيق..

في كل مرة تذهب لتقابل عشيقها لا بد أن تبذل مجهودًا مضاعفًا في الاعتناء بنفسها وجسدها.. ملابس داخلية جديدة أو لم تستعمل من دهر.. عوينات سوداء، عباءة سوداء وما إلى ذلك.. محاولة منها لإخفاء نفسها عمن قد يعرفها.. مسكينة!! لأنها غير ناضجة عاطفيًا، خانها ذكاؤها.. لا تدرى إن تلك المحاولات لإخفاء نفسها هي عين ما يكشفها، وأكثر ما يلفت الانتباه إليها، بالذات الزوج الذي سيملأ الشك قلبه..

نادرًا ما تحاول الزوجة الذهاب مع عشيقها في رحلة طويلة أو خلال عطلة نهاية الأسبوع، إذ تحاول قدر الاستطاعة ألا يتأثر الجدول اليومي للمنزل.. لا بد أن تكون موجودة في المنزل في وقت عودة الأطفال من المدرسة.. وهكذا لا بد أن تحدث العلاقة في وضح النهار، ونادرًا ما يكون هناك وقت لتناول الطعام معًا، أو أي نوع آخر من المشاركة، وإن حدث هذا فيكون عن طريق

الوجبات الجاهزة، لسببين: أولهما، تقليل الوقت الضائع، حيث أنهما ليس لديهما وقت للعاطفة أو لتعميق العلاقة.. ثانيهما: حتى يقللا احتمالية أن يراهما أحد معًا..

ومشكلة أخرى قد تظهر في تلك العلاقات الخاطفة.. وهو إقناع الرجل للمرأة بتناول المخدرات، أو الخمر.. أو حتى السجائر في محاولة من الرجل لحثها على التمرد على حياتها القديمة، أو محاولة منه لإزالة الخجل الزائد لديها، أو الكوابح الطبيعية، التي قد توجد داخلها ضد العلاقة المحرمة.. وأيضًا لتقليل إحساسها بالذنب.. وقد توافق في محاولة منها لإرضائه، وإظهار نفسها كأنثى متفجرة، فيصعب عليه تركها.. غير عالمة أن تناول المخدرات أو الكحول يقلل الرغبة الجنسية، مما يجعلها أكثر إحباطًا بعد العلاقة أيضًا رغم محاولتها إبداء العكس..

نادرًا ما توافق المرأة على إحضار عشيقها إلى بيت الزوجية، إلا لو تحت ضغط أو إلحاح شديد من عشيقها.. فكما قلنا قبلًا طبيعة المرأة لا تقبل وجود رجلين في آن واحد.. فكأنها نفسيًا تنقسم إلى نصفين.. نصف متزوج ومسئول، ونصف أرعن وأهوج ومتمرد، لا يقيم وزنًا لعرف أو لعائلة.. ولذلك فإنها تكون رافضة نفسيًا لإدخال عشيقها إلى منزل الزوجية، محاولة منها لخلق حاجز أو فاصل بين الشخصيتين.. وبين العالمين.. وكأن هذا دفاع نفسي أو إنكار تفعله لا شعوريًا حتى لا تواجه فكرة كونها خائنة لأن ذلك سيسبب ألمًا نفسًا لا تستطيع احتماله..

وهذا إن أزحنا جنبًا السبب الظاهري في خوفها أن يراه أحد لديها..

وللسخرية، فإنها لا تمانع أبدًا في الذهاب لمنزله، واستخدام نفس الفراش الذي ينام عليه مع زوجته، (هذا إن لم يكن أقنعها أن لا توجد علاقة حميمة مع زوجته لسنوات).. وكأنها نفسيًا تحاول إثبات أنها أحلى من جميع النساء بعينيه، لأنه اختارها هي عليهن جميعًا..

الهاتف جزء أساسي من علاقة الخيانة.. وهو أيضًا جزء أساسي من كشف علاقة الخيانة.. غالبًا ما يكون الجزء الأكبر من وقت العلاقة على الهاتف، أثناء غياب الزوج.. مما يؤثر على كفاءة أدائها كزوجة، وفي اهتمامها بالمنزل، وتقضية وقت فعال مع الأطفال..

الهاتف غالبًا ما يصبح عليه كلمة سر، خلافًا لعادتها سابقًا.. تأخذه معها في كل الأماكن بما فيها دورة المياه، وتتعصب جدًا لو أمسك أحدهم هاتفها.. كلها تصرفات جديدة كفيلة بلفت انتباه أي أحد، وبالأخص الزوج.. تصبح حساسة زيادة لأي كلمات بريئة منه: «هل يقصدني بها ؟؟ هل لاحظ عليّ شيئًا ؟؟ هل يشك في شيء؟؟»

وفي خضم هذا كله، هي وحيدة.. لا يوجد من تستطيع الكلام معه، ولا طلب النصيحة أو المساعدة منه، لا يوجد لديها في كل تلك الفوضى سوى عشيقها.. ولكنها لا

تستطيع الكلام معه في أي وقت.. غالبًا هو زوج أيضًا، يخفي العلاقة عن زوجته.. يسجل أسمها على الهاتف باسم أحد أصدقائه أو أسم ذكوري.. ولكن ما لا يعرفه أن ذلك أيضًا شيء يثير الشك لدى الزوجة الأخرى، أن يصبح لديه فجأة (صديق) جديد.. يكلمه في أوقات غريبة من اليوم، لفترات طويلة.. ويحرص طول الوقت على غلق الهاتف أو جعله صامتًا أول دخوله المنزل.. أو يخرج إلى البلكونة أو دورة المياه عند إجراء المكالمات مع (صديقه).. بل وأحيانًا عندما يزيد الشك لدى الزوجة، يقوم الزوج بلعبة جديدة، فلا يقوم بتسجيل الرقم أصلًا، حيلة لا تنطلي طويلًا على الزوجة التي تراقب عندها سجل الهاتف فترى أنه يكلم رقمًا غير مسجل لفترات طويلة، أغلبها أثناء تواجده خارج المنزل.. عندما تشعر الزوجة بتغير زوجها فإنها تصبح أقوى من أي جهاز مخابرات.. وعند اكتشاف العلاقة لا يتردد الزوج بالتضحية بالعشيقة بل وإهانتها أمام زوجته حتى تهدأ العاصفة بالمنزل..

وحتى يحدث هذا، فكل نصيب الزوجة الخائنة من العلاقة هو مكالمات مسروقة، محدودة الوقت، لا تشفي ولا تغني من وحدة.. ومن هنا يبدأ الخلاف، هو كل ما يريده من المكالمة هو تحديد موعد اللقاء، أو علاقة جنسية على الهاتف.. وهي تريد اهتمامًا.. تريد من ينصت إليها، من يحل لها مشاكلها.. تريد نقطة مياه تساعدها على احتمال جفاف حياتها الزوجية..

ويبدأ الضغط يتراكم داخلها، خالقًا قدرًا كبيرًا من المعاناة داخلها، وتحتاج أن تحكي لأحد حقيقة الموقف الذي تعيش فيه.. إن حكت لصديقة لها فهي تلعب بالنار، حتى لو كانت صديقة مخلصة.. فهي ستخشى من حكمها عليها.. أو أن تنشر الخبر بين صديقاتهن..

كل هذا القدر من الفوضى في روتين الحياة هو أول ما يلفت النظر إلى العلاقة، حتى لو كان أحد طرفيّ العلاقة في غاية الحذر، فمن الصعب جدًا الحفاظ على الحذر طوال الوقت من الطرفين.. والأسوأ من ذلك كله هو اللاشعور، الذي يدفع الشخص الخائن إلى فضح نفسه.. يقولون في الأمثال: «يكاد المريب أن يقول خذوني».. لسنوات طويلة شخصت الدراما الطريقة التي يفضح بها الشخص الخائن نفسه.. زوج يكتشف خيانة زوجته عندما رآها تستعمل المكياج يومًا واحدًا فقط من الأسبوع، أو وجد قميصًا للنوم، أو ملابس داخلية (على الحبل أو مغسولة) وهي لم تلبسه له..

يبدأ الزوج في البداية بإطلاق ملاحظات بريئة، وهي لإحساسها الشديد بالذنب، تتخذ لاشعوريًا موقفًا دفاعيًا، وقد تميل للهجوم.. فيزيد شك الزوج، رد فعل مبالغ فيه لملاحظة بسيطة.. وتتحول الملاحظة البسيطة إلى فأر يلعب في صدره، ويضعها أكثر تحت المراقبة، ويبدأ الاستجواب بعدة طرق حتى (يضبطها) متلبسة بالكذب في إحدى الروايات، ويمارس عليها الضغط حتى تنهار..

وما بين الخوف ورغبة الفرار واليأس الذي يدفعها للانهيار.. تطلب الطلاق متظاهرة بالغضب لشكه فيها، أو أنها قد اختنقت من طريقته وضغطه المستمر عليها.. بل وقد تستفزه ليضربها فتجد حجة لتغادر المنزل دون أن يلومها أحد لطلبها الطلاق.. أما إن كانت لديه أدلة فغالبًا ما تنهار تحت الضغط معترفة بكل شيء.. بتفاصيل صغيرة عن العلاقة في البداية، مهملة كثير من التفاصيل الجسدية أو عن المدة الفعلية للعلاقة، ولكن تحت ضغطه وإلحاحه تعترف بكل شيء..

لدي زوجة قامت بعلاقة لمدة ستة أشهر.. كان إحساس الذنب يقتلها، لم يكن لديها القدرة على إنهاء العلاقة، ولا قادرة على الاعتراف لزوجها.. في إحدى السفريات مع زوجها، قالت له بغير انتباه (لا شعوريًا): «حمام هذا الفندق يشبه حمام الفندق الآخر».. فكان من الطبيعي أن يرد زوجها: «ولكننا لم نذهب قط لذلك الفندق الآخر»..!! كان من الممكن أن ترد بأي حجة أو تهرب من السؤال، وتقول لقد رأيت صورته في مجلة، أو صديقة أخبرتني، ولكن بدلًا من ذلك احمر وجهها، وأسرعت هاربة بعيدًا عنه.. أسرع زوجها وراءها، وحاصرها بالأسئلة، فانهارت واعترفت..

مهما حاولت الزوجة أن تكتم السر، لن تستطيع أبدًا أن تخفي علاقة لفترة طويلة لتعدد الأطراف بها.. وأحد الأسباب أيضًا أن جو الأسرار والخوف لا يشجع أبدًا

على ممارسة الحب، والرومانسية.. النساء عاطفيات، تلك الظروف القاتمة للعلاقة، والتي يملأها إحساس الذنب والخوف، هي نفسها تحكم أن العلاقة مصيرها للفشل.. ولكن هناك صعوبة أن تعترف أمام نفسها أنها أخطأت وإن ذلك القرار بالعلاقة الخاطئة قد امتحن مبادئها، وأنها قد سقطت في ذلك الامتحان..

لو كانت أمينة مع نفسها، وراقبت تطور العلاقة لشاهدت كيف كان الرجل يغمرها بالاهتمام والمكالمات والاحتواء حتى حدوث العلاقة الجسدية.. بعدها تتبدل الأدوار، وتفتر العلاقة من جانب الرجل.. وتبدأ المرأة في مطاردته بالمكالمات والرسائل طلبًا منها لتطمين زائد من الرجل وخاصة مع إحساس الذنب، وتدهور ثقتها الذاتية بنفسها، بل وأحيانًا ما ترى نفسها أقل من عاهرة.. ولذلك فهي دائمًا ما تسأل عشيقها: «كيف تراني بعد أن سلمت نفسي إليك؟».. ودائمًا ما يسارع هو بتطمينها أن نظرته إليها لن تتغير أبدًا، وإنه يعلم إن ما دفعها لذلك هو حبها له وأنها لم تفعل ذلك قبلًا».. كلمات لا تلبث أن تتغير للنقيض فور مطالبتها إياه أن يتزوجها..

وبدلًا من إحساسها أنها مقدرة ومحترمة.. تجد نفسها خائفة تتسلل إلى شقة مجهولة، متخفية، حيث أي شيء قد يحدث لها، ورأينا ذلك كثيرًا.. قد يصورها ويبتزها، قد تجده هو وأصحابه بانتظارها، قد يراهم أحد الجيران فتكون فضيحة.. بل وإن أغلب العمارات اليوم بها كاميرات

عند المدخل، فيكون وجودها في بيت غريب عنها إثبات قانوني لجريمة الزنا.. وتظل خائفة، متوترة، حتى تعود آمنة في بيتها..

قالت لي امرأة يومًا: «لقد خنت زوجي مرتين، وفي كلا المرتين لم أجد ما توقعته.. بل ووجدت أن ضغط الأعصاب في العلاقة، نتيجة الشد والجذب يفوق بكثير أية متعة قد أجدها.. ولذلك فقد تركت العلاقة وقطعت علاقتي بالرجل الآخر.. إن زوجي رجل عادي، ليس وسيمًا، وقد لا يلفت الانتباه إذ يسير في الطريق، أو بين زملائه.. ولكن على الأقل لا أحس أني عاهرة وأنا معه في الفراش.. تركت العلاقة وحاولت أن أستأنف الحياة وكأن شيئًا لم يكن.. ولكن عبثًا.. لقد شعرت وكأن روحي قد تلوثت للأبد..

مهما حاولت الزوجة أن تكتم السر، لن تستطيع أبدًا أن تخفي علاقة لفترة طويلة لتعدد الأطراف بها

اضطراب ما بعد الخيانة

«اضطراب ما بعد الخيانة»(8) هو مصطلح تم طرحه مؤخرًا في الألفية الجديدة، بعد أن عرَّف الطب النفسي «اضطراب ما بعد الصدمة»(7)، إنه ذلك الاضطراب الذي يتعرض له الإنسان بعد حادث يهدد الحياة بالإصابة أو الموت.. مثل كارثة طبيعية، حرب، اعتداء جسدي أو جنسي، أو وفاة غير متوقعه لشخص عزيز عليك.. بل وقد يحدث بمجرد مشاهدتك لأحد تلك المشاهد وتوحدك أو تخيلك أنك مكان أحد الضحايا.. يؤدي ذلك الحدث الصادم إلى اهتزاز فهم الشخص لنفسه وما حوله.. فقدان أمان تام يؤدى إلى تشكل أحاسيس العجز لديه.. انعزال، كوابيس وأحلام يقظة..

فهل غريب أن يأتي عالم مثل (اورتمان-2005) فيشبه اضطراب ما بعد الخيانة بأنه حدث يهدد الحياة أيضًا؟ فهو اعتلال نفسي يصيب الشخص بعد اكتشافه لخيانة شريكه في الحياة وتأتي أعراضه في صورة لخبطة في الأكل والنوم، صعوبة في التركيز أو النسيان، نوبات من القلق والتوتر، اجترار الذكريات السيئة المتعلقة بالخيانة، فقدان الثقة في جميع من حولك، نوبات من الغضب والثورة، الإحساس بالمذلة والإهانة، ضعف الصحة العام أو القيام بالسلوكيات التي تؤدى لذلك من إهمال للصحة أو الدواء، مع الخوف الاجتماعي.. وقد يصيب أيضًا ذلك الاضطراب الأبناء

إن اكتشفوا خيانة الأب والأم.. تأثير الخيانة على الأبناء هو موضوع قوي وخطير ولم يلق حقه من البحث ولكننا نراه باستمرار في العيادات النفسية.. إنه حدث يصيب صورة الأم أو الأب في مقتل.. وسنحاول فيما يلي شرح تلك الحالة وكيفية التعامل معها..

عندما تأتي إلينا بالعيادة حالات تعانى من آثار ما بعد الخيانة، فكيف نتعامل معها أنت كمعالج؟ فرويد العالم النفسي الأشهر، تكلم عن مفهوم «الطرح والطرح المضاد»(6) ويتناول «الطرح» فكرة أن المريض أثناء التحليل يتعرض لمشاعر مختلفة تجاه المعالج، فهو تارة يحبه وتاره يكرهه، وقد تظهر عليه علامات الغضب أو الغيرة أو الخوف أو حتى العدوان. وحيث أن المريض لم يكن له صلة سابقة بالمعالج، فليس هناك ما يبرر هذا السلوك. ولا بد إذن أن يكون المقصود بهذا السلوك شخصًا آخر، وما المعالج إلا رمز يرمز إليه، باعتباره الشخص المتاح، ومن ثم تتحول تجاهه المشاعر التي يكنها المريض في واقع الحياة لهذا الشخص الآخر (أو الأشخاص الآخرين)، ويطرح المريض الانفعالات الخاصة بهؤلاء على المعالج الذي يصبح هدفًا لانفعالات المريض المكبوتة. أما عملية «الطرح المضاد» Counter- transference فهي تحدث من جانب المعالج تجاه المريض ويعبر عن خبراته الانفعالية أثناء عملية العلاج. وعملية الطرح أيضًا تعتبر خبرة انفعالية يمر بها المعالج نفسه. فقد يستجيب المعالج انفعاليًا تجاه

المريض، وهذا من شأنه أن يؤثر في قدرة المعالج على أن يقوم بتحليل موضوعي، مما يجعل الطرح المضاد ظاهرة غير مرغوب فيها وترجع إلى العناصر المكبوتة الغير منتهية في لا شعور المعالج نفسه. وهي مشكلة كبيرة ولذلك يجب أن يكون المعالج حريصًا جدًا وواعيًا لحدوث «الطرح المضاد». والمعالج وإن كان لا بد أن يتجاوب انفعاليًا مع المريض -كشرط أساسي لفهمه- إلا أنه يجب أن يكون قادرًا تمامًا على ملاحظة وضبط انفعالاته هو شخصيًا. فمن منا كمعالجين وبشر لم يتعرض للخيانة أو جرح المشاعر من القريبين منا، فهنا كمعالج لا بد أن تكون واعيًا تمامًا وحياديًا فيما يتعلق بقصتك أنت أو قصة العميل.

وعودًا إلى قصة «اضطراب ما بعد الخيانة» فلا د أن نعرف إن الخيانة صدمة وخاصة لو اضطررت أن تكمل الحياة إلى جانب من قام بخيانتك، أي إنك أخذت (مختارًا/مجبرًا) قرار الاستمرار في الزواج، أنك تتعرض يوميًا لفيضان من تلك الذكريات وتضطر إلى اجترارها، بل وأحيانًا النوم في نفس الفراش مع ذلك الشخص. وبلا جدال إن فترة الليل تكون الأصعب من حيث صعوبة النوم، الأحلام المزعجة والكوابيس التي قد يستيقظ منها المرء صارخًا وهو يعيش تلك الأزمة مرارًا وتكرارًا.. صور تقتحم العقل (أفلام) لزوجك أو شريكتك وهي تمارس العلاقة مع شخص آخر، يقول له نفس الكلام الذي سمعته منه قبلًا.. ويأتي الإلحاح المرضى في معرفة التفاصيل

وأنت تسأل عدة مرات عن القصة وتلعب لعبة «أخرج الاختلافات بين الحكايتين» لأن من أمامك (لا بد) أن يكون كاذبًا من وجهة نظرك خاصة وأنه بالفعل قد كذب عليك وخدعك عدة مرات.. وحتى مع العلاج فإنه نادرًا ما يستعيد الثقة في شريكه ثانية.

إحساس بالإهانة لا ينتهي لشعور الشخص أنه عند مقارنته بشخص آخر فقد سقط في تلك المقارنة، لكون الآخر (شريك الخيانة) أصغر/ أكبر/ أكثر أو أقل وزنًا/ أغنى أوأفقر.. بل وأتذكر قول أحد رجال الأعمال وهو يخبرني أنه في أحد المرات أوقف عربته ليأكل من عربة فول بالشارع، وسرح بنظره مع بائعة جرجير تجلس على الرصيف وتمناها وقال: « كم أتمنى أن أجرب طعم التراب، لقد مللت الشوكة والسكين»..

أحيانًا لو كانت من تعرضت للخيانة امرأة فإنها تشعر أن أنوثتها قد تعرضت لطعنة قاتلة، وتميل لتعويض ذلك بزيادة إغرائه ثم (التنكيد) عليه بعد كل مرة علاقة، ولا بد من الاستجواب، «كيف كنت تشعر وأنت معها؟ هل تمتعك أكثر مني؟ ماذا كنت تقول لها وأنت في أحضانها؟»..

أما وإن كان الرجل هو من تعرض للخيانة واختار أن يكمل، فهو غالبًا ما يطلب الممارسة الجنسية كل يوم لاعتقاده أنها لم تذهب إلى رجل آخر إلا لأنها غير مشبعة جنسيًا، ويميل للإفراط في تناول المقويات الجنسية.. وليس مستغربًا أن بعد العلاقة يأتي الاستجواب، بل

وأحيانًا الضرب المبرح وكأنه يحاول أن يطرد أشباح وخيالات زوجته وهي في أحضان رجل آخر.. إنه جحيم مقيم أن تختار أن تكمل علاقة مثل هذه، فلا منك تستطيع النسيان ولا الغفران..

وغالبًا ما يميل الزوج المخدوع للانعزال عن مجتمعه لإحساسه بالإهانة، «أو أنهم جميعًا يعرفون ما تعرضت له، البواب، عامل الجراج، الجيران والباعة».. وتميل الزوجة الخائنة للانكماش لأنها تعرف أن أقل نظرة، أو حركة، أو كلمة منها قد يفسرها زوجها خطئًا، وتعرضها للعقاب.. تميل لتقليل النزول حتى لا تستدعى فيه الشك على الإطلاق.. غالبًا أيضًا قد تعطيه هاتفها أو تغلقه تمامًا في محاولة منها لاكتساب ثقته مجددًا..

يذهب الزوج لعمله بصعوبة، فاقد التركيز وفاقد لأعصابه.. دائم التعب، يميل لوضع الفخاخ لامرأته، وبعد كل يوم عمل لديه استجواب جديد، وطلب جديد منه لرواية الحكاية من الأول وبعده الممارسة المطولة والقاسية للجنس والذي قد يعقبه العنف الجسدي.. وتتوالى الأيام..

إنه جحيم مقيم أن تختار أن تكمل علاقة مثل هذه، فلا منك تستطيع النسيان ولا الغفران..

---

(8) Post Infidility stress disorder (PISD), Ortman, 2005

(7) Post traumatic stress disorder (PTSD)

(6) Transference and counter transfrerence- Freud

الإخصاء العاطفي

«الإخصاء» كلمة مقصود بها التخلص (الجراحي أو أي طريقة أخرى) من الخصية أو المبايض، ولكن عند ذكر تلك الكلمة في العلاقات الحميمة ووصف «الإخصاء العاطفي» فهي تحمل معنى أكثر شمولًا وأكثر تدميرًا من ذلك..

عندما يستخدم أحد الزوجين عبارات تقلل أو تدمر إحساسه بجنسه -رجلًا كان أم امرأة- فهو نوع من الإخصاء العاطفي، والتي إن لم يكن الشخص واعيًا بخطورتها وتأثيرها النفسي المدمر فلن يحاول إيقافها.. عبارات بالغة الخطورة مثل العبارات التالية:

- «أنت فاكر نفسك راجل؟ بأمارة إيه؟ قل لي مين حواليك يحترمك أو بيعملك اعتبار؟»

-«ما تفردي وشك؟ ما كانتش كلمة قلتهالك، ماتعمليش نفسك ضحية ومظلومة.. بطلي التلاعب ده، امال لو كنت حلوة شوية كنت عملت إيه؟ إنت فاكرة نفسك ست أصلًا؟»

-«أنت من امتى بتعرفي تفكري؟»

- «مش شايفة مراتات إخواتي بيعملوا إيه؟ هو ده منظر طبيخ أصلًا؟»

-«أنا ندمان إني ما اتجوزتش خطيبتي الأولى، كانت

ست ماحصلتش»..

- «أنت إنسان نرجسي».. «أنت شخصية اعتمادية»..

-«عشرتك كلها هم ونكد، سأتزوج امرأة بحق تمتعني»..

-«لقد كبرت في السن، ألا ترين جسدك وبطنك المترهل؟»

تلك العبارات المهينة، العدوانية ليست فقط خطورتها في الهجوم المباشر على الشخص الآخر ولكنها أيضًا تمس مباشرة كرامتي كإنسان.. وإحساسي بنفسي كرجل أو امرأة..

من الصعب تخيل كيف يكمل أي إنسان حياته مع شخص مؤذٍ عاطفيًا بهذا الشكل؟ والأصعب أن يتخيل أي شخص أن تلك العبارات قد تقال يوميًا على سبيل الدعابة؟؟

الحل الوحيد للتعافي من ذلك الأذى العاطفي هو الوعي به.. الوعي بالتأثير المدمر الذي قد تسببه مثل تلك العبارات على الصورة الذاتية لأي شخص.. الوعي لا بد أن يحدث قبل أن تنتهي العلاقة بلا رجعة..

هناك أنواع من اضطرابات الشخصية التي قد تميل أكثر من غيرها للانتقام في العلاقات الشخصية مثل اضطراب الشخصية الحدية أو المعادية للمجتمع أو النرجسية.. يميلون لتحقير أو تقليل أو تكسير الشخصية التي أمامها كنوع

من فرض السيطرة أو التجريح عند انتهاء العلاقة.. تلك الشخصيات غالبًا يكون غضبها مدمرًا وغالبًا ما يكونون ضحايا سابقين لعلاقات مؤذية مرت بهم.. تعرضوا فيها أيضًا لتحقير يتعلق بالجنس، كان صورة ذاتية أو طريقة ممارسة.. وغالبًا ما تستمر طريقة العلاقات تلك كطريقة الحب الوحيدة التي يعرفونها، إلا لو تعلم طريقة صحية للحب قبل أن يحكم على جميع علاقاته بالفشل..

غالبًا من يأتي للعلاج وقتها هو ضحية الإساءة بينما يرفض المعتدى نفسه العلاج.. «المشكلة عندك أنت.. أنت المريضة.. أنت من تحتاجين لعلاج نفسي»..

ولا جدوى عندها لعلاج فرد واحد في العلاقة دون الآخر، لأن الإساءة عندها ستظل مستمرة..

كيف أعرف إن كنت أقوم بإيذاء الطرف الآخر في العلاقة؟؟ ماذا لو كنت أنا المعتدي؟؟

انظر في المرآة: هل يعجبك الشخص الذي أخرجته منك تلك العلاقة؟ البداية لتغيير ذلك الشخص الذي لا يعجبك، والذي تراه في المرآة هو أن تسأل نفسك بضع أسئلة:

-هل تندم على الأشياء السيئة التي قلتها في العلاقة؟ بغض النظر عن لماذا قلتها أو في أي موقف..

-هل تشعر بالخجل إن قلت تلك الأشياء المهينة أمام الغرباء أو أشخاص آخرين؟

-لو رأيت آخر يقوم بذلك السلوك أمامك تجاه شخص آخر فماذا ستشعر؟

من أين يأتي هذا السلوك؟ محتاج أن تراجع كل العلاقات القريبة منك منذ الطفولة وحتى العلاقة الحالية في حياتك، هل تذكر إن وجهت عبارات مماثلة للتي تقولها أنت الآن لك؟ واسأل نفسك تلك الأسئلة:

-هل تصرفت بطريقة مماثلة في علاقة سابقة؟

-هل لذلك علاقة بطريقة ما بطريقة التربية التي تعرضت لها؟

-من الذي أساء إليك بنفس طريقة إساءتك لشريكك الآن؟

-ما هي المؤثرات أو المحفزات التي تدفعك الآن لذلك السلوك؟

-ماذا يستطيع شريكك أن يفعل كي يساعدك؟

أوقف هذا السلوك بأي ثمن: إن رأيت كيف إن هذا السلوك مدمر للعلاقة فلابد من إيقافه بأي ثمن.. وإيقاف أية عبارات تحمل معنى (الإخصاء) وهو إشعار الآخر بالخزى نتيجة شكله، شخصيته، أو جنسه.. حاول أن تعبر لشريكك عن شعورك دون إيذاء، وعن سلوكه الذي حفزك لقول تلك العبارات.. حاول أن تتعرف أيضًا على الأحاسيس الجسدية التي تشعر بها في جسدك عندما تكون

متحفزاً للهجوم.. وأسأل نفسك تلك الأسئلة:

-ما هي الأحاسيس الجسدية التي تشعر بها مباشرة قبل بدء الهجوم؟

-ماذا حدث بينك وبين شريكك مباشرة قبل تلك الأحاسيس؟

-هل تشعر بالأمان الكافي لكي تشرح إحساسك لشريكك وأفكارك تجاهه مباشرة قبل الانفجار؟

-هل هناك طريقة تشرح بها مشاعرك بطريقة أكثر إيجابية؟

من هو الشخص الذي تريد أن تكون؟ إنك تريد وقف قطار الأذى قبل أن يخرج عن القضبان.. اختر كيف تريد أن تكون علاقتك في المستقبل.. وكيف من الممكن أن تطلب مساعدة من شريكك في ذلك.. اسأل نفسك تلك الأسئلة:

-من هو مثالك الأعلى كرجل أو امرأة في ضبط النفس وتشعر بالراحة معه؟

-ما هي الطريقة أو أخطاء التفكير، أو التحاملات التي قد تجعلك تنتكس للسلوك القديم؟

-ما هي السلوكيات التي تحتاجها من شريكك لتساعدك على التغيير؟

صدق أنك تستطيع: هذه أهم خطوة.. لا بد من ممارسة

السماح والتصديق لقدرتك على التغيير.. هناك أشياء تعرضت لها في الطفولة حفرت تشوهات عميقة في نفسيتك مما يجعل التغيير صعبًا.. إلا في حالة الوعي بها.. حاول أن تتخيل كلا من وضع الجاني والمجني عليه، سيساعدك هذا على التغيير، والبقاء متغيرًا..

وتذكر إنه أسهل رؤية الإخصاء العاطفي كسلوك لدى الآخرين عن رؤيته في نفسك، وأنك ستكون أكثر ميلًا لإعطاء نفسك مبررات لسلوكك أو أن شريكك شديد الحساسية بدلًا من إدانة نفسك.. ضع نفسك مرة مكان الجاني ومرة مكان الضحية وستجد نفسك أكثر قدرة على التعرف على ذلك السلوك ثم تغييره..

الإدمان الجنسي

«جاءتني حالة (نعمة) بعد العديد من التوصيات بقبول الحالة حتى أقيها نهاية أفظع وهي الموت على يدي زوجها أو أهلها.. كانت سمعتها بين كل من حولها أنها من عائلة ملتزمة، منتقبة، لديها أربعة أولاد، زوجها رجل ثري وكريم، ليست لديه اهتمامات سوى بيته وأولاده.. بكلمات أخرى عندما تنظر إلى الصورة من بعيد تشعر أنها صورة مثالية.. وذات يوم وعلى إثر مشاجرة زوجية عادية، وجد الزوج (فلاشة) بين أشياء زوجته في حقيبة غريبة استغرب وجودها في البداية، ولكن كانت الصاعقة عندما شاهد عليها مئات الفيديوهات الجنسية لزوجته.. وبعد العديد من المواجهات الساخنة بينهم اعترفت بأن تلك فعلًا حقيقتها لسنوات طوال.. لسنوات كانت تأخذ هاتفه وهو نائم وتسجل أرقام الرجال وتدعوهم للجنس، منهم من يستجيب نكاية في زوجها ومنهم من يمتنع ولكنه يخشى إبلاغه.. ولم يكن الأمر قاصرًا على معارف زوجها وأصدقائه، بل ممكن أي عامل توصيل، بائع، سائق تاكسي.. وكانت تطلب منهم تصويرها بوجهها وكانت تضع تلك الفيديوهات على العديد من المواقع الإباحية.. نزلت تلك الاعترافات على زوجها كالصاعقة.. والأسوأ أنها اعترفت له أنها غير متأكدة إن كان الأب الحقيقي لأولاده.. وحكت له العديد من التفاصيل الصادمة التي تعجبت أنا عند سماعها على قدرة الزوج على احتمال ما

يسمعه، بل ورغبته في علاجها»..

الإدمان الجنسي (السودة) يعد واحدًا من أشهر الإدمانات الخفية في مجتمعنا المصري.. هنا يجب أن نفرق بين الخيانات الزوجية أو العلاقات العابرة وبين الإدمان الجنسي والذي يشترك مع إدمان المخدرات في كونه سلوكًا قهريًا، فيه تعود واعتمادية ويؤثر على حياة المرء كلها سلبًا وتدميرًا، ولكن المريض لا يستطيع التوقف وحده عن ذلك السلوك..

المؤيدون لنموذج تشخيص «الإدمان الجنسي» يعتبرونه واحد من الاضطرابات المرتبطة بالجنس التي تندرج ضمن مفهوم الانحرافات الجنسية. يُستخدم مصطلح «الاعتماد الجنسي» للإشارة إلى الأشخاص غير القادرين على التحكم برغباتهم وسلوكياتهم وأفكارهم الجنسية. إضافة إلى ذلك، هنالك عدة مترادفات متعلقة بالسلوك الجنسي المرضي، من ضمنها «فرط الرغبة الجنسية، الشبق الأنثوي والرجولي، الوسواس الجنسي، متلازمة دونجوان». مع أننا قد نقبل فكرة إدمان بعض الأشياء، مثل النيكوتين أو الكحول، وما ينتج عنها من أضرار، لا يزال ثمة جدل بين الخبراء عندما يتعلق الأمر بالجنس، وما إذا كان إدمانه أمرًا حقيقيًّا أم مجرد خرافة. لحتى الآن، لم يتم تصنيف إدمان الجنس على أنه حالة مرضية، فإن السلوك قد يتحول إلى إدمان عندما يصل إلى مستوى معين من الحدة، ويبدأ في إحداث أضرار لمن يمارسه والمحيطين به.

إذن السلوك الجنسي قد يمثل إدمانًا، وبالنسبة لمن يعانون من الشعور بعدم القدرة على التحكم في أنفسهم يعتبر الإفراط في الجنس من الأعراض الثانوية التي تعكس وجود مشكلات نفسية أكبر مثل الاكتئاب والقلق أو الصدمات التي تم التعرض لها في الطفولة التي قد تدفع البعض إلى اللجوء إلى الجنس كآلية للتكيف مع معاناة نفسية ما.

تناول التاريخ العلمي حالات «الإدمان الجنسي» - أو الإفراط- (لأن لفظ الإدمان لم يظهر إلا في بدايات هذا القرن) في بدايتها بالاستغراب.. ما الذي يدفع شخصًا لإعادة سلوك معين يشعر بالتقزز منه أو يسبب له أضرارًا كثيرة، ولكنه لا يستطيع له دفعًا؟؟

ما الذي يجعل الفكرة الجنسية مسيطرة على التفكير لدرجة تجعل لا هدف له في الحياة سواها؟؟ تجعله متهورًا، لا يشبع.. وفي سبيل إرضاء تلك الرغبة الجامحة قد يكسر القانون أو يخالف التقاليد الأخلاقية والدينية لمجتمعه.. وقد يفقد في ذلك الطريق شرفه، حريته، ومن الممكن حياته؟؟ وقد رأينا ذلك حديثًا في الرجل الذي تحرش بفتاة صغيرة في مدخل إحدى العمارات، أو الطبيب الذي مارس العادة السرية في إحدى المواصلات العامة..

في عام(1952) وُضع «الشبق الجنسي» في التقسيم النفسي كأحد الانحرافات الجنسية ولكن بقيت ملامح التشخيص مبهمة وغير واضحة.. حتى أتى عالم يسمى

(كارنز) في عام (1083) وكتب كتابه الشهير «خارج الظلال» وفيه وصف تلك الحالة لأول مرة بـ«الإدمان الجنسي»..

ولكن بقيت خلافات كثيرة حول وضعه كتشخيص منفصل أو كجزء من مرض نفسي آخر مثل الانحرافات الجنسية، أو الوسواس القهري أو الاضطراب الوجداني ثنائي القطب..

ولكن يبقى السؤال.. لماذا لا يأخذ ذلك المرض صورة واضحة يمكن التعامل معها؟؟ ربما تكون الإجابة لأن صورته ليست واضحة.. وقد يأخذ في بدايته أشكالًا قد يغض عنها المجتمع الطرف.. دون العلم بالإدمانية العالية لتلك السلوكيات.. والتي منها: العادة السرية، العلاقات المتعددة، الصور والفيديوهات والأفلام الإباحية، الجنس عبر النت، الخيالات الجنسية..

ثم كطبيعة أي إدمان لا بد أن يزيد الكم والكيف للسلوك الإدماني، فيبدأ ذلك السلوك في التأثير على العمل وعلى العلاقات الشخصية، بل وحتى سلوكيات غير قانونية، حيث تخرق كل الحدود الواضحة في سبيل الحصول على اللذة..

وتبدأ الحلقة المفرغة عادة بفكرة مسيطرة ورغبة ملحة بالحصول على اللذة، يمارس بعدها المدمن سلوكًا قهريًا ينتهي بممارسته لإدمانه بغض النظر عن العواقب.. وفور

أن يفعل ذلك تجتاحه مشاعر الاكتئاب والحزن والشعور بالذنب واليأس من التوقف.. وتكون أفكاره الأساسية عن نفسه: «إنني إنسان قذر، لا أستأهل الحياة، لن أجد من يحبني لنفسي، لن أجد من يلبي احتياجاتي.. الجنس أو العلاقة هي كل ما أحتاجه في الحياة»..

غالبًا ما تكون هناك مشاكل في الطفولة.. لم يشعر فيها الطفل أنه محبوب لذاته.. الحب غير المشروط الذي يقبل الإنسان مهما كانت عيوبه، ولا يستطيع الإنسان تعويضه إن افتقده في طفولته إلا فيما ندر.. تربية تكون قائمة على توقعات عالية، وخزي وإهانة، أو تجاهل في حالة الفشل من تحقيق تلك التوقعات.. ويبقى داخل ذلك الطفل طوال عمره أنه يجب أن يدفع ثمن الحب، الكلمات الحلوة، التقبل والسعادة بالجنس.. ويبقى دائمًا بداخله ذلك الثقب الأسود الذي يمتص السعادة من حياته، ولا يترك إلا الوحدة والرغبة في الموت..

جُربتْ عدة طرق لعلاج الإدمان الجنسي.. ولعل أشهرها مجموعة الاثنتي عشرة خطوة، وهي عبارة عن برنامج روحي يجعل للإنسان علاقة بقوة أعظم (الله كما يراه) وتُقوي داخله المبادئ الروحية وتقبل الذات.. وهناك العلاج المعرفي السلوكي الذي يقوم على إصلاح المفاهيم المغلوطة عن الذات والآخرين.. وهناك العلاج الدوائب في حالات التشخيص المزدوج.. ولكن تبقى العلاقة العلاجية، قوة المجموعة، إحساس المريض بالتقبل وعدم

العزلة ورغبته الصادقة والتزامه بخطة العلاج هي أساس العلاج.

الإدمان الجنسي كأن نوع من الإدمان يستلزم الوعى بالمشكلة، قبول الضعف ثم السعي للتغيير.. قبول العلة لا يعنى الموافقة عليها.. ولن تستطيع وحدك إيقافها..

دور العائلة إذا اكتشفت أن أحدًا من أفرادها يعاني من الإدمان الجنسي أن تحتويه، بعيدًا عن أسلوب التعنيف، وأن تساعده على استعادة الثقة بنفسه وبإرادته، ليصبح قادرًا على اتخاذ القرار بالتوقف عن ممارسة الجنس بإفراط..

يتوجب على الأسرة إبعاد كافة مسببات الإثارة الجنسية، والعمل على تفريغ طاقات المُدمن جنسيًا من خلال ممارسة الرياضة أو الأعمال اليدوية المحببة إليه، وإن كان من أهم أسس علاج الإدمان الجنسي، تعويد الفرد المُدمن على أن يحب نفسه، وأن يكون قائدًا لنفسه مع زرع القيم الدينية الفاضلة في نفس المُدمن جنسيًا.

الإدمان الجنسي موجود بقوة في مجتمعنا، وإن كانت الإحصائيات لا تزال غير موجودة أو حقيقية في مجتمعنا، ولكن تأثيره السلبي والقوى على تماسك الأسرة المصرية يجعله ضرورة أن نركز عليه ونتضافر الجهود المجتمعية للقضاء على ذلك السوس الذي يتسرب لداخل الأسرة المصرية.

الجانب الإيجابي للخيانة

لا تتسرع عزيزي القارئ فتقوم بإلقاء ذلك الكتاب من النافذة، وأنت تسأل في غضب: «ومن أين يأتي الخير في الخيانة؟» لأن بلا جدال تعرضك للخيانة من جانب شريك حياتك هو إحدى التجارب الصادمة التي ستتغير الحياة من حولك بعدها.. بل وقد تتغير أنت شخصيًا فيها.. كيمياء مخك واتزانك الشخصي وستشعر أنك تتألم وكأنك في الجحيم.

ولكن تفاجئنا النفس البشرية كالعادة بقدرتها على التكيف حتى بعد تجربة مؤلمة كالخيانة..

علميًا تأثير تعرض المرأة للخيانة من جانب شريكها يؤلم أكثر من تأثيره على الرجل، وهو الرأي الذي قد يرفضه معظم الرجال..

ولكن دعنا نحسبها بالعقل المنطقي.. غالبًا ما يختار الرجل المرأة بناءً على تفضيلات جسدية، بينما اختيار المرأة للرجل يدخل تحت عمليات حسابية معقدة.. ولا سيما أنها تحتمل العبء الأكبر في العلاقة.. بسبب مسئوليات الحمل والولادة وما يتبعها من تغيرات جسدية وهورمونية، وأضف على ذلك مسئولية تدبير المنزل والأولاد والتمرين وإسعاد الرجل.. بينما على عكس ذلك، (كثير) من الرجال يرى أن دوره هو توفير النفقات للبيت وكفى.. ولذلك فإن تقبله نهاية العلاقة (فيما يتعلق

بالخسائر المادية)، يكون بسهولة تقليب صفحات كتاب، وهنا نتكلم عن الخسائر المادية وليس المعنوية (وهو رأي العلم وليس رأيي الشخصي رغم تصديقي له).. ومع ذلك لأن وقعها النفسي عليه وقدرته على التكيف أقل بكثير من المرأة.. بل وحتى المرأة الأخرى (الطرف الثالث) في العلاقة ستتساءل دومًا عن موعدها معه لتتعرض للخيانة.. ولذلك فهي علاقة قصيرة وإن طالت!!

بينما تواجه المرأة صعوبة بالغة في تقبل ألم الخيانة المعنوي ويكون وقعها عليها أكبر، ولكنها أسرع في التعافي منها عن الرجل.. والدليل على ذلك ما نراه أن كثيرًا من الزوجات يكملن الحياة مع الرجل الخائن -(على مضض ولاعتبارات كثيرة ولكن يستطعن)- بينما قلة نادرة من الرجال الذين يستطيعون إكمال الحياة مع المرأة الخائنة.. بل وإن المرأة تقوم من تلك السقطة (إن صلحت توبتها) أكثر صحة في مواجهتها للحياة بدلًا من الهروب منها.. إنهن يصبحن أكثر ثقة، أكثر وعيًا بأنفسهن بل وأكثر استقلالًا.. ذلك بعد إتمام رحلة التعافي..

إنها حقيقة.. ليس لدى الرجل مهارة التكيف الرهيبة التي لدى المرأة، وذلك لأن سيظل دومًا لديه خوفان أساسيان سينغصان عليه عيشته.. أحدهما طعنة غائرة في رجولته حين يشعر أنه لم يعد (رجل) امرأته، وأنه فُضِّلَ رجل آخر عليه وهو ما يعطيه صفعة مؤلمة لكبريائه الذكوري.. والآخر- الأكثر إيلامًا- خوفه أن يكون

الأولاد ليسوا أولاده..

قدرة المرأة على التكيف واحتمال الصدمات أضعاف قدرة الرجل

وغالبًا احتمال ذلك ضئيل جدًا لأن ذلك هو أول مخاوف المرأة في أية علاقة جنسية خارج إطار الزواج لأن خسائرها عليها أضعاف خسائر الرجل.. وفي ذلك إن كنت رجلًا تعرضت للخيانة وتنوي إكمال الحياة فلا بد أولا أن تهدئ مخاوفك تلك بأية طريقة وإلا فلن تستطيع المواصلة وستتحول تلك المخاوف إلى أشباح تطاردك ليل نهار..

أفلام عقلي

«اكتشفت خيانة زوجي، ومن ساعتها وأنا أشعر بالتعاسة.. نوبات بكاء لا تنتهي.. وأريد أن آخذ وضع الجنين ولا أترك الفراش.. ومن حين لآخر انفجر في نوبات غضب فظيعة على أولادي كلما طلب من أحدهم شيئًا أو حاول مجرد الكلام معى..

وكل هذا بسبب «أفلام عقلي» مشاهد مزعجة وسيناريوهات لا تفارقني ليلًا أو نهارًا، تقتحم عقلي، مهما حاولت أن أطردها أو أبعدها عنى.. لم يكن طبعي - والله- أن أراقب هاتف زوجي، ولكني كنت أستعمل هاتفه يومًا لأطلب طلب من السوبرماركت لأن هاتفي كان فاقدًا للشحن، فجاءته رسالة وهو في يدى: «هل ستأتي الليلة يا حبيبي؟ سألبس لك الفستان الأحمر».. وكأني أحسست بكل الأحمر وقد انفجر في رأسي.. ولست أدري من أين جاءتني برودة الأعصاب وأنا أعيد إليه الهاتف وكأن شيئًا لم يحدث.. وانتظرته حتى استغرق في النوم وسمعت شخيره، وفتحت الهاتف ببصمة أصبعه، ليس هذا فقط بل ووضعت بصمتي أنا حتى أستطيع فتحه في أي وقت.. ما رأيته على الهاتف في تلك الليلة لن يغادر عقلي أبدًا ما حييت.. لم أصدق أن ما رأيته من رسائل متبادلة بينه وبينها من مشاهد جنسية صريحة، كلمات إباحية وشتائم جنسية، بل وصور عارية من الطرفين.. لم أصدق أن ما قرأته كتبه زوجي الخمسيني الذي يمارس

الجنس معى في الظلام على استحياء وفترات متباعدة.. لم يشغلني ذلك قبلًا واعتدت عليه كطبعه ولم أحاول تغييره أو شككت فيه قبلًا..

لم أنم ليلتها، وتلك المشاهد حية في عقلي وكأني أراها بين ذراعيه، حفظت الكلمات التي تبادلاها في الشات.. كيف سأتعامل معه؟ كيف سأعيش الأيام القادمة -تلك الأيام كالحة اللون- بعدما قرأته، وبعد أن رأيت رجلًا غريبًا غير الذي ينام جواري كل ليلة؟؟ كيف سأنظر إليه وأتعامل معه وأقول له (يا حاجّ) كما اعتدت معه؟؟»

أفلام العقل هي تلك الأفكار المقتحمة التي تغزو العقل عقب اكتشاف خيانة شريك الحياة.. أسئلة لا تنتهي: «من هي/هو؟، أهي أجمل مني؟ هل تمتعه في الفراش أكثر مني؟؟ هل يقول لها نفس الكلمات التي يقولها لي؟».. أفلام أقل كثيرًا مما يحدث في الحقيقة، هي لا تتعدى لقاءات مختلسة بين اثنين يحاولان إتقان الكذب على بعضهما.. في محاولة يائسة للحصول على السعادة.. أفلام لا تنتهي فدعنا نتعلم معًا كيف نحول القناة..

ورغم أن الحقيقة أبعد ما تكون عن أفلام العقل، فمن وقعت عليه الخيانة لا بد أن يحضر وصفته الخاصة من العذاب الشخصي..

عندما تكتشف الخيانة فإني أشبه الشريك الغافل بالناجي من حادث سيارة.. إنه ينزف من كل مكان شعوريًا..

ومهما كانت درجة ندم وإحساس الذنب الذي يملأ الطرف الآخر فإنه لا يمكن أن يستعجل عملية الشفاء.. والتي تختلف تمامًا من شخص لآخر ولكن أقل فترة هي ستة أسابيع.. حسب الخطوات الإيجابية التي يفعلها الزوجين للتعافي..

«أخذت قرارًا بالاستمرار مع زوجتي بعد اكتشافي لخيانتها.. قرار أخذته وكأني قطعت به لحمي من الداخل.. ولكني لم أستطع أن أفعل إلا هذا، فلم يكن لي أحد آخر يستطيع أن يراعى أطفالي عندما أكون بالعمل.. ولا أمتلك القدرة المادية على الزواج ثانية.. وإن طلقتها وأعدتها إلى أهلها، سأحرم من أطفالي ولن يكون لي القدرة على تربيتهم كما أريد.. لقد أصبحت فاقد الثقة فيها، كيف ستربيهم؟ هل ستدخل رجالًا آخرين للمنزل؟ نوعية الملابس التي ستسمح لهم بها وخاصة وهن فتيات..

كان لا بد أن أكمل وأكون موجودًا، رغم أن مجرد رؤيتها كانت تثير الغثيان في نفسي.. أي كلمة بسيطة توجهها لي أشعر بعاصفة من الغضب وأتخيل رقبتها بين يدي.. كنت لا أدري حقًا كيف ستمر الأيام بنا ولا أرتكب جريمة..

تظاهرت هي بالضعف والانكسار، وحاولت الاقتراب والاعتذار والإغراء بكل الوسائل.. بل وحاولت حتى ادعاء التدين فكنت أراها دومًا بعدها على سجادة الصلاة..

أحيانًا كنت أنسى أو أتناسى.. وأحيانًا أخرى كنت أنهال عليها ضربًا، ولا تفتح هي فمها خلال ذلك.. كنت أحاول صدقوني، أن أتجاوز لحظة اكتشافي لخيانتها.. ولكن أحيانًا كان الوجع يذهب بعقلي.. كنت أتخيل (أفلامًا) في عقلي، أراها تضحك له، تقول له الكلام الذي حرمتني منه، أراها عارية بين ذراعيه تسأله المزيد.. كل تلك الأفلام كانت تدفعني للجنون..

كنت أغلق الباب علينا وأطلب منها أن تحكي لي ثانية كل التفاصيل، وإن أغفلت شيئًا عن حكاية سابقة، أو اختلفت التفاصيل، أنهال عليها ضربًا.. كان رد فعلها يزيد من ثورتي، تظاهرها بالتفهم والسكوت كان يجعلني أنفعل.. ولو بكت وثارت كنت أجن.. لم يكن هناك رد فعل صحيح.. كل شيء، كل شيء كان خطئًا..

كان لا بد أن أطلب مساعدة في التعامل مع أفلام عقلي لأني كدت أجن، وأصبح عاجزًا عن كل شيء عندما تأتيني»..

الفيضان العاطفي الذي يصاحب أزمة اكتشاف خيانة شريك الحياة يمكن أن يشل الحياة.. وصحيح أيضًا أنه لا يوجد رد فعل يستطيع أن يجعل الأمور أحسن، ولكن بالتأكيد هناك ردود أفعال قد تجعل الأمور أسوأ..

ذلك الفيضان العاطفي يأتي في صورة نوبات غضب، إساءة لفظية أو جسدية، تقلبات مزاجية شديدة ما

بين تواجد زائد أو هروب مستمر.. جلسات استجواب مطولة.. تهديد بالإيذاء أو الفضيحة.. تغييرات مستمرة في القرارات، كأن مثلًا أن يطلب منك المغادرة، بعد أن يعدك بمحاولة الاستمرار وعدم الكلام فيما سبق..

تلك الأفكار المقتحمة والأفلام المستمرة هي العائق الأكبر أمام محاولة استمرار تلك العلاقة أو محاولة الشفاء.. ذلك الشخص يحاول النجاة من ذلك الوضع.. أحيانًا محاولة البقاء قد لا تكون مبنية على تصرفات عقلانية.. لقد تكلمنا قبلًا عن اضطراب ما بعد الخيانة ولذلك للتعافي منه لا بد أن نتعرف على أكبر معوقات الشفاء..

مثلًا قد تحاول الزوجة إبعاد الأولاد عنك تمامًا عند رجوعك من العمل، فتغلق باب حجرة عليها وعلى الأولاد، وتحاول تجنبك عندما تلمح على وجهك آثار الثورة والوجع والأفلام في عقلك.. قد لا تكون تلك أفضل طريقة للتعامل ولكنها ليست سيئة..

الجانب الأسوأ في التعامل قد يكون عن طريق التلاعب ومحاولة استخدام غضبك ضدك لإشعارك بالسوء ولومك لأنك لا (تحاول كفاية)..

وفيما يلي أمثلة لأسوأ التصرفات التي قد تزيد الوضع سوءًا:

-التطمين: لا تحاول تهدئته كأنه طفل صغير، أو إعطاء وعود فارغة لن يصدقها مثل: «لن يحدث هذا ثانية،

ستصبح الأمور على ما يرام، توقف عن اللوم أو أنا لم أفعل شيئًا يستدعي تلك الثورة».. لماذا نرى ذلك سيئًا؟ لأن في نوبات الثورة الأمور داخل الشخص لا تكون على ما يرام.. وعندما أخبره أن الأمور ستكون على ما يرام سيظن أني أحاول استغفاله ثانية.. وهذا سيجعل الموقف يتصاعد.. بدلًا من ذلك حاولي الاستماع إليه سيهدئه هذا أفضل من الكلمات..

- محاولة التحكم في ردود أفعالهم: عندما يكون الشخص في ثورة من المشاعر فهو لا يكون منطقيًّا.. محاولة التعقل معهم في تلك المرحلة سيجعل الأمور أسوأ.. ولو أحسست أن الوضع غير آمن، حاول الابتعاد قليلًا والتجنب بدلًا من محاولة السيطرة على ردود أفعالهم..

- التقليل من نفسك: عندما تتكلم عن إحساسك بالخزي والعار فإن الحديث ينتقل إليك، وهذا يجعل فيضان المشاعر أسوأ.. يجب أن يكون (هو) محور الحديث وليس أنت.. يجب أن تركزي على تحمل مسئوليتك عن أفعالك ومنحه الوقت للتعافي.. وكلما زاد غضبه تذكري أنه يحاول أن يعبر النار التي أوقدتها أنت حتى يحاول إنجاح تلك العلاقة، ولذلك احتواؤه والتركيز على شفائه والسماح بمشاركة الألم والوجع هي نقاط أساسية ندور حولها الآن.. والأهم أن نصل لمحلة أمان واستقرار في العلاقة..

مواجهة الخائن

في معظم الأحوال عندما تكتشف الخيانة، يكون رد الفعل الأول هو طلب إنهاء الزواج أيًّا كانت الطريقة.. ويكون هناك دائمًا جانٍ وضحية.. ويعتبر جرحُ الخيانة لا يمكن تداركه.. ولكن غالبًا ما تكون الخيانة عرضًا وليست مرضًا.. مرض في العلاقة عميق، مسكوت عنه، وغالبًا لم يُتكلم عنه مطلقًا.. جروح لم نملك قبلًا شجاعة تنظيفها..

ولذلك: هل نستطيع اعتبار الخيانة فرصة للحديث عن جوانب الخلل في العلاقة وكيفية إصلاحها؟ وأيضًا اعتبارها فرصة إيجابية لتقوية العلاقة فيما بعد؟؟

المواجهة مع شخص خائن ليست سهلة أبدًا.. ولكنها بلا جدال ستجلب لك القليل من السلام الداخلي.. ولكن قبل فعلها لا بد من بضعة أشياء تحتفظ بها في عقلك للاستعداد..

1 - تأكد من الدليل: لا تواجه لمجرد الشك، مجرد المشاعر على أهميتها غير كافٍ.. لا يكفي إحساسك بتغير الطرف الآخر، أو إحساسك بعدم الاهتمام أو الخداع.. لا بد من وجود صور، رسائل أو شهود، تسجيل مكالمات.. اجمع الأدلة أولًا، وإلا في وجود أطراف أخرى من العائلة قد تظهر بمظهر متحامل وقد ينجح الطرف الآخر في إلباسك الخطأ.. أو اتهامك بالجنون، أو الغيرة أو الشك الزائدين..

2 - راجع نيتك فيما تريد أن تفعل: هل ما لديك هو

شكوك أو ظنون فقط؟ لديك إحساس نتغير الطرف الآخر، لا تتجاهل إحساسك ولكن اسأل نفسك عن السبب.. ولو تأكدت لا تأخذ أي رد فعل نتيجة انفعال.. لا تدخل أي طرف خارجي لا تثق في ردود أفعاله.. عند الكلام على علاقة خارجية، ضع في الاعتبار سمعة أطفالك، وتأثير كلام مثل هذا عليهم.

3 - لا تواجه وأنت منفعل: ستخسر المعركة إن واجهت خائنًا وأنت منفعل.. لا بد أن تواجه الآخر بمخاوفك وشكوكك وأنت هادئ وبحزم، مهما حاول الآخر قلب (الترابيزة) عليك.. استمع لما سيقوله لو كنت واثقًا من أدلتك..

4 - اختر مكان المواجهة: ليس أحسن مكان في العلن، مثل كافيه أو مطعم.. تحتاج إلى مكان هادئ لا يستمع إليكما أحد.. وبالأخص الأطفال.. تحتاج إلى مكان هادئ للمواجهة..

5 - اختر الوقت المناسب: المواجهة مع الخائن لا بد أن تخطط لها.. وقت أنت هادئ فيه، لا تغمرك فيه مسئوليات وتشتيتات.. ليس مثلًا وأنت في طريقك للعمل، ليس وأنت تحضر أطفالك للمدرسة.. في وقت أنت لست متعبًا أو جائعًا فيه..

6 - استمع للطرف الآخر: مهما كنت متأكدًا من ذنب الطرف الآخر، استمع إليه.. حاول ألا تطرح كل أدلتك

مرة واحدة، تكلم بحزم وثقة شخص يعرف ما الذي يتحدث فيه، إنها فرصة لتعلم لأي مدى الشخص الذي أمامك يشعر بالندم وينوي التكلم بصدق وصراحة.. وفي بعض الأحيان قد تفاجأ بتفسير لم تكن متوقعه.. أو أن الحقيقة ليست بالسوء الذي كنت تتوقعه.. بعض الأفعال يمكن غفرانها..

7 - خذ وقتك في تحليل الرد: حاول أن تحلل الرد أو التفسير الذي استمعت إليه.. خذ وقتك ولا تدعه يتعجلك في إعطاء الرأي أو التسامح.. وبغض النظر عن إن كنت سمعت أشياء تخشاها أو رغبت فيها مثل التعبير عن الحب والندم فلا تتعجل في إعطاء رأيك.. قد يحاول تشتيتك أو مهاجمتك أو الانهيار.. تمسك بالحقائق.. تمسك بأعصابك..

8 - هل هناك احتمال لفرصة أخرى؟ هناك أشكال عدة للخيانة، مبررات عدة، وقد يكون الخطأ متبادلًا من الطرفين.. هل هي خيانة فعلية أم إلكترونية فقط؟ هل هي جسدية أم كلام فقط.. هل كان تهورًا، غباءً، مكيدة؟؟ إنه اختيارك هل يستأهل ذلك الشخص فرصة أخرى بناءً على تاريخكما معًا.. أم أن ما فعله ما هو إلا كمالة لقصة من الإساءة والاستخفاف بمشاعرك.. هل تستطيع حقًا أن تثق فيه مجددًا في المستقبل؟ هل ستستطيع النوم معه في فراش واحد؟؟

9 - هل ستحتمل العواقب؟ إكمال الحياة مع خائن؟ صعب جدًّا.. الطلاق صعب جدًّا.. اختر الصعب الذي

يناسبك.. وقع الطلاق على الأطفال؟ ماذا سنقول لهم؟ سنهم وقت حدوث هذا؟ مواجهة العائلة وقدر الإفصاح الذي تنتويه.. شئونك المالية؟ وإن كنت تنوى إدخال القانون في القصة؟ أسئلة كثيرة لا بد أن تكون مستعدًا لها قبل أن تكتب كلمة النهاية..

الزوجة الخائنة والأبناء

«كانت هناك خلافات بيني وبين زوجي، تلك التي تسمونها عادية ولا يخلو منها أي بيت.. زوجي كان مسرفًا لا يعمل حساب الغد، وأنا كنت أميل للاقتصاد.. هو كان عشوائيًّا جدًا وأنا أعرف مكان كل شيء، بل وأعرف أين أخفت الفأرة أولادها.. بمرور الوقت تحولت إلى أمه وليس زوجته.. كنت دومًا أقوم بتوبيخه على مصاريفه، لو اشترى شيئًا لنفسه.. أو لو أراد الخروج للفسحة أو التخطيط للمصيف.. كنت أرى دائمًا أننا في ضائقة مالية أو أن لدينا أولادًا فيجب أن نخطط بحذر للمستقبل..

كنا نعمل نحن الاثنين، وبمرور الوقت زادت المسافة وكثرت الأسرار..

كانت البداية زميلي في العمل الذي أقضي معه معظم وقتي بنفس المكتب.. بدأ هو يعلق على علامات الإرهاق والتعب على وجهي.. وبدأت أحكي عن مشاكلي بالمنزل وشكوتي المستمرة من زوجي، وبدأ هو أيضًا يحكي لي عن مشاكله الزوجية، ولم يكن غريبًا بعدها أن تزداد العلاقة بيننا قربًا.. كان ما يحدث غريبًا عليَّ تمامًا، أنا التي أحسب للخطوة ألف حساب..

وبدأت المشاكل عندما اكتشفت زوجته الرسائل المتبادلة بيننا رغم أني حذرته من احتمالية ذلك لكنه

قال إن زوجته لا تمسك تليفونه مطلقًا، لقد استهان بغرور الرجل المعهود بقرون استشعار زوجته.. فما كان منها إلا أن أخذت صورة من تلك الرسائل وبعثتها لزوجي!!

وبعد حدوث الانفجار، وإنكاري لكل شيء في البداية إلا كونها (مجرد) رسائل ولم تتعد ذلك.. إلا إن زوجي أصر أن أترك العمل ولم أر (زميلي) هذا من يومها..

أعتقد الآن حين أفكر فيما حدث أن أكبر سبب للوقوع في تلك العلاقة هو وجود رجل (مُصر) على الاهتمام بي.. لست ألومه.. كنت أعرف طوال الوقت أن ما أفعله خطأ.. مهما حاولت أن أبدو غاضبة منه لتجاوزاته في البداية، إلا أنه لم يفقد الأمل وكأن جزءًا منه يدرك أني لست مغلقة أمامه الباب بالكامل.. كنت أستطيع أن أكون أكثر حزمًا معه، كنت أستطيع أن أدخل أحدًا أكبر مننا في الإدارة.. كنت أستطيع أن أبدو أكثر غضبًا منه عندما يعطيني تعليقًا غير لائق عن ملابسي أو جسدي ولكني لم أفعل..

لقد أحببت ما يحدث.. أحببت اهتمامه بكل تفاصيلي وأحسست معه أني امرأة.. بينما كنت أشعر أن زوجي مستمر معي فقط لأنه يحتاجني.. لأني جزء من ذلك المنزل، لأني أساعده في مصاريف المعيشة وأعتنى بالأولاد، وليس لأنه يحبني..

بينما كان الآخر مهتمًا بحق.. يتحمل نوبات غضبي،

يهتم بكل تفاصيلي.. كان جزء مني يدرك أن ذلك فقط في نظير إثارة العلاقة المحرمة، ولكني كنت أدفن تلك الحقيقة داخلي مهما بدا ذلك غير ناضج ولكني أدمنت اهتمامه بي»..

عندما تزيد المسافة تكثر الأسرار

كانت أكبر مشكلة واجهتني في تلك الحالة هو سؤال زوجها: «هل تصلح الزوجة الخائنة لتربية الأطفال؟ إنه بطبيعة الحال فقد الثقة بها ولن تعود العلاقة لسابق عهدها أبدًا.. وما يحدث بينهما هو اختيار في آخر الأمر.. فماذا عن تأثير ما حدث على الأبناء؟

الأبناء مهما كان سنهم شديدو الحساسية لأي تغيرات بالأب أو الأم، وغالبًا ما (يدرك) الابن وجود علاقة خارج إطار الزواج قبل أن (يعرف) ذلك فعليًا.. وخاصة مع الأم أكثر من الأب لأن الطفل بطبيعة الحال أكثر التصاقًا بالأم من الأب.. سيدرك التغيرات المزاجية التي تمر بها.. تغير حالتها للأسوأ في وجود الأب عن غيابه.. التصاقها غير المبرر بالهاتف، والساعات الطويلة التي تقضيها عليه.. وانعزالها في غرفتها بالساعات وصراخها بوجهه عند دخوله إليها.. ومنع أي أحد من لمس هاتفها..

لو تأكدت أن الأبناء قد عرفوا بشأن العلاقة بالصدفة وأنت الطرف الخائن، فأسوأ شيء ممكن تفعله لنفسية ذلك الطفل هو أن تطلب منه التستر عليك رجلًا كنت

أو امرأة.. ذلك كفيل بتشويه نفسيته للأبد، إبعاده عنك ورفضه لك.. وتغيير ديناميكية العلاقة في دور الأب/ الابن..

لو سمع الأبناء عن الخيانة من خلال المواجهة بين الأب والأم فالمهم هو تفسير بسيط على قدر سنهم مع اعتذار واضح..

قد يشعر الأبناء بالضغط الأخلاقي لحماية الضحية في العلاقة.. مما يزيد من الضغط النفسي عليهم، إحساس الخزي وفقدان الثقة، الرفض والصراع للطرف المخطأ.. وليس من المستبعد أن يتعرض ذلك الطرف لنوبات الغضب وفقدان السيطرة..

وكلما كان الطفل أصغر زاد احتمالية الانعزالية، نوبات الغضب، إيذاء النفس أو النكوص في التطور السلوكي.

ليس من الغريب أيضًا أن نجد صورة «التوحد مع الضحية».. وهذا يحدث غالبًا عندما تكون صورة الأب أصلًا سيئة، عصبي عنيف يهمل احتياجات الأسرة.. فلو حدث عندها أن عرف الابن أو الابنة بخيانة الأم، فليس غريبًا أن يخفوا هذا عن الأب ويجدوا لها ألف مبرر.. وبلا جدال هذا دليل آخر عن التشوه الذي تصل إليه نفسية الأطفال..

تلوث الصورة المثالية للأب والأم كفيل أن يؤثر على رؤية الأبناء الأكبر لشكل الزواج.. وكثيرًا ما رأينا هؤلاء

الأبناء يقررون ألا يتزوجوا في المستقبل لأن «الزواج نظام فاشل».. بعض الدراسات أكدت احتمالية تكرار الخيانة إن أتى الشخص من بيت حدثت فيه خيانة.. هذا خلاف أنه نادرًا ما يثق في الآخرين وبالتأكيد شريكه..

إنه وضع سيئ جدًا تتعرض له الأسرة بكاملها، وغالبًا ما يُهمل الأطفال في تلك الفترة ويُنسون لأن التركيز يكون غالبًا على بطلى المأساة.. لا بد أن يقدم للأبناء المساندة والاهتمام والدعم النفسي لتعزيز شعوري الأمان والحب وأن ما يحدث حولهم مهما كانت قسوته ليس خطأ منهم.. ومن المفيد استشارة معالج أو طبيب يعمل بالاستشارات الأسرية لكيفية التعامل مع التغييرات الحرجة التي تمر بها الأسرة، وكيفية الإجابة عن الأسئلة الكثيرة التي تمر بهم بدون إضافة عبء نفسي جديد عليهم..

أما اعتقادك أن الزوجة الخائنة لا تصلح لتربية الأبناء فهو اعتقاد ظالم على عمومه.. كثير من النساء تعرضن لذلك الاختبار الصعب، وصلحت توبتها وعاشت لأطفالها..

ما تحتاجه حقًّا هو أن تفصل قصتك الشخصية مع زوجتك الخائنة، وقرارك الشخصي بالاستمرار من عدمه.. عن قرارك بمسح تاريخها بالكامل معك وتربيتها لأطفالك كأن لم يكن.. ما أعنيه أن تجرد مشاعرك الشخصية -على صعوبة ذلك- وتفصل ما بين أدائها لدورها كزوجة

وما بين دورها كأم.. كثير من القرارات تأخذها في لحظة انفعال يدفع ثمنها غاليًا الأبناء.. ومنها قرار فضيحة الأم بين العائلة والأصدقاء، أو حرمان الأم من أبنائها.. وهو ما سيدمر للأبد نفسية الأطفال وسيصبح خطؤك لا يقل فداحة عن الطرف الآخر.. لقد كان خطؤك الأول الاختيار الخاطئ، فلا تجعل خطأك الثاني تدمير أطفالك..

أسامح، أنسى أو أرحل

الخيانة هي إحدى كبرى العقبات التي قد تواجه أية علاقة.. قد تتعجب أنها عقبة وليست نهاية العلاقة، ولكن واقعيًا 37 % فقط من الخيانات الزوجية تنتهي بالطلاق.. ولا تتعجب أن أحيانًا الخيانة قد تكون المحفز الإيجابي لإصلاح العلاقة.. فماذا أفعل بعد اكتشافي للخيانة؟؟

حقيقة لا يوجد رد فعل مثالي لصدمة مثل هذه.. ولكن بلا جدال هناك ردود أفعال معينة قد تؤخر الشفاء أو تصبح مدمرة لي وللآخرين.. فمهما كان رد فعلك أو قرارك لحدث الخيانة، فيما يلي سأحكى لك ما يجب أن تتجنبه..

يجب أن تتوقف عن:

أن تحكى كل شيء للعائلة والأصدقاء: مع الوجع الشديد الذي تشعر به طبيعي جدًا أن تشعر بالرغبة في الكلام مع الآخرين عما حدث.. بغض النظر عن رغبتك في المساندة أو فضح شريكك.. هناك الكثير من الضباب في حياتك الآن.. والكثير من التردد، ويبدو المستقبل غائمًا في تلك اللحظة فيما يتعلق بتلك العلاقة.. هل سأبقى أم أرحل؟؟ هل سأستطيع أن أسامحه يومًا؟؟ هل سأستطيع التعافي عاطفيًا وماديًا وكإنسان بعد وجع الخيانة؟؟ عندما يمر وقت كاف واكتملت خطة العمل للأيام القادمة

في ذهنك، شاركها أولًا مع شريكك ثم مع أهلك ومع أبنائك.. والاستثناء الوحيد هو لو شاركت المعالج أو الطبيب النفسي في تلك الخطوات أو الأفكار.. لأنه سيساعدك على التفكير، ويرشدك إلى مناطق الضعف في خطتك ويحافظ على سريتك وأمانك وصحتك النفسية إن قررت الانسحاب أو إكمال تلك العلاقة..

أن تفضحه على منصات التواصل الاجتماعي: لا يوجد من يلومك على غضبك وعلى رغبتك في الانتقام.. قد ترغب في فضح شريكك وخيانته على منصات التواصل الاجتماعي ووضع عبارات مهينة له.. لتفضحه على الملأ.. احذر من أي رد فعل لا تستطيع التراجع عنه.. مهما حاولت بعدها إلغاء البوست إلا أن الطلقة قد غادرت البندقية وشاهدها كل من يعرفك ويعرفه.. عندما تهدأ قد تندم لتأثير ذلك على حياتك وحياة أولادك.. وإعطاء الفرصة لغرباء تمامًا عنك للتدخل في حياتك.. كانوا شامتين أو ناصحين.. فكلاهما مؤذٍ..

أن تأخذ قرارات تؤثر على الحياة: فور اكتشافك لفعل الخيانة غالبًا ما تنقلب حياتك رأسًا على عقب ويقوم العقل العاطفي بالعديد من القرارات المتسرعة، وهو ما لا ينصح به.. انتظر على القرارات حتى تهدأ وتفكر بوضوح فيما هو أفضل لك ولعائلتك.. ولذلك تجنب ما يلي:

- أن تنتقم بعلاقة مماثلة.

- طلب الطلاق.

- إنفاق كمية كبير من النقود.

- تغيير أقفال المنزل وطرد شريكك خارجًا وتمزيق أشيائه.

- أخذ أية أموال بالمنزل وإن استطعت من الفيزا الخاصة به..

عملية التعافي تأخذ وقتًا، وكثير من تلك القرارات قد تكون صحيحة ولكن تؤخذ في الوقت الخطأ بدون عمل خطة مناسبة للأمان.. وكثير من القرارات لو تسرعت بها ستؤخر عميلة التعافي وقد تضيع حقوقك أو تؤدى إلى تصعيد الأمور. خذ وقتك واطلب مساعدة محترفة في أخذ القرارات واعتنِ بنفسك أولًا..

أن تضع كل اللوم على الشريك في علاقة الخيانة: خلال طريق التعافي من الخيانة لا بد أن يتحمل شريكك 100 % من المسئولية على فعل الخيانة. نعم، بلا جدال هناك كثير من الأخطاء التي قد تكون ارتكبتها خلال العلاقة، ولكن لا يوجد ما يبرر الخيانة.. إن لم يشعر فاعل الخيانة بالندم فلا يوجد ما يمنع تكرار ذلك الفعل ثانية..

أن توسوس بالشريك الآخر في علاقة الخيانة: بعد اكتشافك للخيانة قد تقول إنك تكره (الطرف الثالث) أو شريك الخيانة في العلاقة، ولكن احذر هناك تصرفات إن فعلتها ستكون أكثر أذى لك.. كثير من الناس

ينشغل بالعثور على (الطرف الثالث) ومواجهته.. وقد يفكر بالانتقام عن طريق إخبار زوجها/زوجته بخيانته.. أو قد يحاول العثور عليه على مواقع التواصل الاجتماعي والانشغال بجميع إخباره ومطاردته.. إنك هكذا قد بدأت (الوسوسة) بذلك الشخص.. «لماذا اختارت ذلك الشخص؟ ماذا يملكه وليس عندي؟ ماذا يقول لها وهما معًا؟..».. تلك الأفكار لن تساعد في تلك المرحلة التي تمر بها.. لا تركز على الطرف الثالث.. ما تحتاجه هو التركيز عليك وعلى شريكك وعلى علاقتكما فقط..

أن تلوم نفسك: لقد تمت خيانتك، إنك تشعر بالوجع.. لا تلم نفسك، لا تلم الضحية.. لم تكن مثاليًّا في العلاقة؟ لا أحد فينا مثالي، ولكن لا يوجد أي مبرر للخيانة.. ما تحتاجه فقط أن تحافظ على اتزانك النفسي، فيجب أن تذكر نفسك كلما أحسست بالوجع أن أيًا كان خطؤك فلا يوجد مبرر للخيانة.. فتوقف عن لوم نفسك وانظر كيف تأخذ قرارات مناسبة لك ولعائلتك..

أن تتخيل أنك يمكنك أن تتعافى بمفردك: عندما تمر بجرح الخيانة وتشعر بوجع شديد، قد يفيدك أن تطلب مساعدة من معالج نفسي لمساعدتك على أن تمر خلال تلك المرحلة الصعبة بحياتك.. قد تستطيع أن تتعافى بمفردك ولكنك ستمر بوقت صعب للغاية وقد تتخذ تحت تأثير الوجع قرارات تؤثر على حياتك بأكملها..

أسئلة قانونية

التمييز بين الرجل والمرأة في جريمة الزنا

-المادة(247) من قانون العقوبات أن المرأة التي ثبت زناها (أيًّا كان مكان وقوعه) تعاقب بمدة لا تزيد عن عامين، وكذلك من زنا بها (المادة 277).. من حق زوجها فقط أن يوقف الحكم حتى بعد صدوره في حالة إن ارتضى معاشرتها ثانية، وفي هذه الحالة يستفيد من زنا بها بأن الحكم يسقط عنه أيضًا..

-المادة (277) كل زوج زنا في منزل الزوجية وثبت عليه ذلك يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة أشهر.. في حال كان خارج منزل الزوجية (فندق مثلًا) لا تثبت عليه جريمة الزنا!! إلا إذا زنا بامرأة متزوجة فيخضع للمادة (277).

-المادة (237) إن من فاجأ زوجته في حالة تلبس بالزنا فقتلها في الحال هي ومن يزنى بها يعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات، وتعد جنحة وليست جناية قتل عمد أو ضرب أفضى للموت!!

-لو الزوجة هي التي ضبطت زوجها في حالة تلبس بالزنا وقتلته فلن يخفف عنها الحكم، ونعاقب بعقوبة القتل العمد أي السجن المشدد أو المؤبد.

-ينص القانون أن من حق الزوج التنازل عن حكم

الحبس في حق زوجته التي ثبت زناها ويملك توقيف ذلك الحكم والعكس غير صحيح.

-التفرقة بين الرجل والمرأة في العقوبة يكون في أغلب البلدان العربية عدا العراق ودول المغرب العربي التي تساوى بينهما في العقوبة، وهو ما يعد مخالفة صريحة للدستور المصري الذي ينص إن الدين الإسلامي هو المصدر الأساسي للتشريع والذي لا يفرق بين الرجل والمرأة في عقوبة الزنا، إلا إن المحكمة الدستورية العليا قد رفضت عدم دستورية تلك القوانين..

- من غرائب ذلك القانون أيضًا أنه يسقط حق الرجل في تقديم الشكوى ضد زوجته الزانية إن كان قد سبق له الزنا في منزل الزوجية وثبت عليه ذلك، ولا يجوز محاكمتها عندها على جريمة الزنا.

-أدلة إثبات الزنا: التلبس، الاعتراف، الأوراق المكتوبة.

-في حالة الديانة المسيحية، يمكن التطليق في حالة إثبات زنا أحد الزوجين مادتي (38-50)، بأدلة، اعتراف أو هروب أحد الزوجين مع شخص آخر.

حكم خيانة الزوجة لزوجها عبر الإنترنت (الخيانة الإلكترونية)

الخيانة الإلكترونية تأخذ نفس أحكام الخيانة الفعلية، فالزنا لا يعني فقط الزنا المباشر أو الفعلي، بل إن النظر إلى المحرمات يعتبر زنا «العين تزني وزناها النظر»..

يعتقد الكثيرون إن الخيانة الإلكترونية أكثر أمانًا من الخيانة الفعلية معتقدين أنهم لن يقعوا تحت طائلة القانون بتلك الطريقة..

يحتم القانون إثبات جريمة الزنا بالتلبس وقت وقوعها أو وجود تسجيلات أو رسائل تشير إليها بشكل صريح وتؤكد وقوع تلك الجريمة، وعليه فإن المحادثات الغرامية ليست جريمة في حد ذاتها إن لم تصل إلى العلاقة الجنسية الكاملة..

بينما يجرم القانون بحث أحد الزوجين خلف الآخر حال شكه في سلوكه عن طريق تفتيش هاتفه أو مراقبته لأنه بذلك يكون قد اعتدى على حريته الشخصية، فلو شك في سلوكه عليه فقط إبلاغ السلطات المختصة وعليها هي إثبات فعل الزنا.

واتجه أغلب الفقهاء إلى طلاق الزوجة إن كانت غير عفيفة ولكن من الممكن أن يسامح الرجل إن كان قادرًا أو كانت الخيانة عبر الهاتف فقط، مع التوجيه بالستر حتى إن أراد تطليقها..

فلسفة الخيانة

تستطيع الأعمال الأدبية أحيانًا أن تجيب على بعض الأسئلة عن النزعات البدائية داخلنا.. من نحن؟ وما هو دورنا في تلك الحياة؟ وما هي طبيعة الوجود بعد الحياة؟ وهل يبرر هذا الألم الذي نواجهه في حياتنا؟ والأهم.. ما الذي يجب أن نفعله كي نفر من جحيم الحياة؟..

والحقيقة أن حياة كل واحد فينا تمر بلحظة، قرب النهاية، تفسر له إجابات كل الأسئلة، فقط إن استمع جيدًا..

من أحد أشهر كتب الفلسفة التي تناولت الجحيم هي: «الكوميديا الإلهية (لدانتي)».. رحلة الروح إلى الله عند (دانتي) تتطلب أن يمر خلال مستويات الجحيم، ويتعرف على خطيئته ويرفضها، وعندها يرتقي إلى المستوى الذي يليه من الجحيم أو الحساب..

يحكى لنا (دانتي) على تأثير الخطيئة على روح الإنسان، وهو يعبر خلال التسعة مستويات للجحيم، متخذًا لشاعر اسمه (فرجيل) كدليل له خلال رحلته، يخبره ويشرح له عن أية خطيئة يعاقب في كل مستوى..

وتكون مستويات الجحيم كالتالي: الأول: هو النسيان، الشهوة، النهم، الطمع، الغيظ، الجدل، العنف، الزيف، ثم آخر وأعمق مستوى للجحيم هو الخيانة حيث يكون الشيطان مكبلًا بالجليد.. نعم هناك جليد في الجحيم حسب رؤية

(دانتي) وهو ما سيشرحه فيما بعد..

يأخذ (دانتي) طوفًا، ويغمى عليه عند وصوله إلى شاطئ النسيان، وهو المستوى الأول من الجحيم بعد الموت.. (وكأن الموت هنا، هو موتي كامرأة أمام زوج لا يراني)، وكأن الماء قبل الوصول إلى شاطئ النسيان هو أمواج وصراعات الحياة المليئة بالتعب، والضغط والإرهاق حيث يصبح الموت (حقيقيًا أو تخيليًا) أمنية سعيدة..

ومثل (فيجيل) المرشد الذي يحاول إرشاد (دانتي) إلى الطريق، تأتى إليك أنت (الزوجة الخائنة) خلال رحلتك العديد من الرسائل التي تريك خطأ الطريق الذي تسلكينه.. وكأنها تحاول حمايتك من العذاب الذي ينتظرك.. ولكن كعادة الإنسان فإنه يتجاهل الرسائل والتحذيرات، ويمضي في طريقه غير مبالٍ.. معتقدًا أنه خلاف غيره سيتمكن من التحكم أو منع الألم..

وكأن المستوى الأول للجحيم هو نسيان حقى كامرأة في وسط أمواج وصراعات، وضغوط الحياة.. وكأني أشعر أن لا أحد يراني..وكأني زهرة على الحائط، باهتة الألوان، وبلا رائحة..

ولكن يا ترى ما الذي يغري الإنسان بالذهاب في طريق يؤدي به إلى جحيمه الخاص؟

أعتقد أنه الغضب من الله، ومحاولته إثبات أن عقله الخاص سيمكنه من التغلب على المرارة التي يشعر بها في

حياته.. الدراما الإغريقية تحكي عن «الشبيه- الشخص المشابه- الروح المزدوجة أوالتوأم الشرير».. وفي الطب النفسي رأينا «الشخصية البديلة»(9) التي تولد من داخل الإنسان تحت تأثير ألم فظيع، ويكون الغرض من ولادة تلك الشخصية هو إقناعك أنها ستقوم بحمايتك من الوجع، ستدافع عنك بأي طريقة، ومهما كان الهدف.. ولكن لأنها «التوأم الشرير»، فإن أساليبها غالبًا ما تكون ملتوية، بالكذب، الخداع أو القسوة والخيانة، بل وأحيانًا ما تحاول زرع أفكار مغلوطة في الشخصية التي تحاكيها محاولة منها خلق المزيد من الارتباك أو القرارات الخاطئة..

في الأديان غالبًا ما يشار إليها بالنفس الأمارة بالسوء، أو (الجاني) داخلك الذي يدفعك إلى الخطيئة، وكأنها النسخة السوداء من الإنسان التي تدفعه إلى الخطأ وتبعده عن الله.. ولا يبحث الإنسان وقتها عن الخلاص من مشاكله بطريقة واقعية ولكنه في كل مرة يتجه بخطى ثابتة واثقة نحو الحفرة، نحو الجحيم.. وطبقًا لرواية (دانتي) فإن تلك الطبيعة الخاطئة يتم إخراجها خلال رحلته إلى الجحيم..

الرابط بين الخطيئة والجحيم مرتبط وموجود في أذهان البشر جميعًا، من خلال مبدأ أن النفس البشرية الخاطئة هي التي تؤدى إلى عذابك بعد الموت، بل وأثناء الحياة كذلك.. وبذلك تكون النفس البديلة الشريرة هي السبب في عذابي مرتين، وتكون هي جحيمي الشخصي.. ويجعل ذلك العديد من الأسئلة الوجودية تتصاعد داخلي، بل

وعذبت البشر على مدار السنين.. «ما الذي يجعل نفسي شريرة، أو يعلى أصوات الشر داخلي؟؟ وإن كانت نفسي الشريرة مفروضة عليّ، ألن يكون من عدم العدل أن أعذب ؟؟

لا، إن رحلة النزول إلى الجحيم ليست اضطرارية.. إنني لا أصحو في الجحيم، ولكني آخذ رحلتي إلى الجحيم مختارة..

إنني أبدأ رحلتي في المرحلة الأولى في النسيان أو التناسي، مختارة.. تناسي وضعي كامرأة متزوجة، تناسي مسئولياتي في تلك الرحلة، تناسي أطفالي وترك كل شيء خلفي، لأبدأ رحلتي إلى الجحيم..

إحساس بالمرارة يملأني تجاه حياتي، تجاه زوجي، بل وتجاه خالقي.. ورغبتي المحمومة أن أترك واقعي خلفي، وأتناسى عقاب الحياة الآخرة.. في الظروف الطبيعية، لم أكن أبدًا لأختار رحلة الخيانة.. لم أكن أبدًا لأتخذ ذلك الطريق إلى الجحيم.. ولكن بديلي الشرير زرع الفكرة داخل عقلي، وقادني في أولى خطواتي إلى الجحيم..

أول تمثل لذلك البديل الشرير يظهر في أفكار الانتقام: «لمَ لديه الحرية (زوجي) وليس لديّ أي شيء؟؟ لمَ يتجاوز المجتمع والأهل عن أخطائه، وليس مسموحًا للمرأة أن تخطئ في أي شيء؟؟ لم لا أفعل مثله وأذيقه نفس الكأس؟؟ لم لا أكسر كبرياءه كرجل، كما يحطمني كل ليلة كامرأة؟؟..

هو خنقني.. أنا خنته..

كثيرًا ما سمعت من المرأة الخائنة: «لم أكن أنا، لم أكن أدري ما الذي أفعله، كنت عاجزة عن السيطرة، وكأني لست أنا، وكأن هناك من يسيطر على عقلي وأفكاري»..

كثيرًا ما رأيت المرأة الخائنة تتجنب النظر إلى نفسها في المرآة.. خوفًا أن ترى نفسها (البديل الشرير/النفس الشريرة) تحدق إليها شامتة.. لترى نسخة سلبية منها.. نسخة وحيدة، حاقدة، جالسة، تفكر في الانتقام الأعظم «تدميرها لنفسها»..

لكي تسيطر تلك النفس الشريرة عليها، لا بد أن تعزلها عن الآخرين، عن أطفالها لأنهم يذكّرونها بزوجها.. عن أصدقائها وأهلها لأنهم قد يذكرونها بأحقيته وجدارته في الحياة.. كونها وحيدة جسديًا، ومعنويًا، وروحيًا، يؤهلها تمامًا لرحلة الجحيم..

بعد المستوى الأول من الجحيم «النسيان».. تبدأ المراحل الأخرى تباعًا، ويأتي المستوى التالي وهو «الشهوة» فأبحث عمن يذكرني أني امرأة، وتدور داخلي تساؤلات مثل: «أليس من حقي أن أسمع كلمة حلوة؟؟ أن أجد من يهتم بي ويسمع أخباري؟؟» وخاصة في السن من الـ20 لـ40 سنة حيث تكون الهورمونات والأنوثة في قمتها، وتختلف الاحتياجات حسب المرحلة والمسئولية التي أنا فيها.. ويبدأ الغضب من شريك الحياة حين أشعر أني حبيسة

مع رجل لا يقدرني، غياب التقدير قد يكون سلبيًا بمعنى غياب الاهتمام، الكلمة الحلوة، الحنية أو الطبطبة.. وأما غياب التقدير العدواني فيظهر في كثرة الانتقاد والتحقير أو التعليق على الأخطاء فقط..

وتتحرك الشهوة عندها وتظهر في النهم لكل المتع الجسدية والحسية التي لم اشعر بها قبلًا.. ويملأني الغضب والعنف تجاه زوجي، وأنا أحمله مسئولية دماري، وانهياري الأخلاقي، والجسدي، بل والعنف تجاه أطفالي، لأنهم من يربطونني بذلك البيت، وذلك الرجل.. وتصبح الكراهية محركًا أساسيًّا لي ولجسدي.. ولمَ الشهوة في تلك المرحلة؟ لأنها الحل السريع لعلاج المشاعر السلبية.. كثير منا عندما يشعر بالاكتئاب أو الغضب أو القلق فيميل إلى الإفراط في الأكل، التسوق، ألعاب فيديو، علاقات أو عادة سرية.. وكلما كانت الشخصية أقل نضجًا، زاد استعمال تلك الدفاعات النفسية غير الناضجة..

عندما أتناسى وضعي كامرأة متزوجة، وأتناسى مسئولياتي عن مبادئي وأطفالي.. فإنني أخطو أولى خطواتي نحو الجحيم.. رحلتي للجحيم الاختيارية..

ويأتي مستوى (الزيف) مع (الشهوة).. حين أزيف حقيقتي ومكان وجودى واستعمالي للهاتف وتسجيل الأسماء عليه ومسحي للشات باستمرار قبل عودته للمنزل، والشكوى لكل من يكلمني عن ظروفي وأحوالي وسوء معاملته لي تمهيدًا لترك ذلك المنزل إن اضطررت.. قد

استخدم وقائع حقيقية، ولكن المشكلة في استعمال تلك الوقائع أو المبالغة فيها كمبرر لطريقي الذي أسلكه عامدًا متعمدًا نحو الجحيم أو الخيانة في حالتنا تلك.. بدلًا من استعمالها لتصحيح أوضاع خاطئة، أو أخذ الطريق الطويل تجاه صيانة البيت والبحث عن احتياجاتي وطلبها بصورة ناضجة وصحيحة..

وكثيرًا ما رأيت أيضًا أن طريق الخيانة ليس مستقيمًا، بل حلزونيًا، يلف بي ويعيدني إلى البداية، يقودني دائمًا إليه (طريق الخيانة) وعودًا كاذبة بالسعادة.. وعندما أدرك أن السعادة وهم وكذبة أحاول عبثًا عندها أن أهرب من طريق الخيانة، لأجد إنني قد حوصرت في الظلام، وأنه لا طريق للعودة (العودة للبراءة والطهر ما قبل الخطيئة)..

عقاب (الشهوة) في الجحيم -تبعًا لرواية (دانتي)- أن تتقاذفني الرياح العنيفة في الظلام بدون وقت للراحة.. وكأن هذه الرياح هي الأفكار التي تعصف بالرأس في ساعات الخيانة والخوف وعدم الراحة والصراع بين الحالتين -الحياة المستقرة الجافة أو حياة الإثارة والخيانة المختلسة- وكأنه يوضح الطبيعة الحقيقية للشهوة، ظلام قاتل من الضيق العاجز.. لا أنا قادرة على العودة، ولا راغبة في الاستمرار..

ويأتي مستوى (الشره/النهم) وهو الإغراق في الملذات، حين يغرق الإنسان في الملذات الحسية، ويصل لحد الإدمان (إدمان مكالمة أو اهتمام أو نظرة ولمسة أو علاقة

عاطفية وجسدية)، وما يليه من عقاب للشره في الجحيم - تبعًا لرواية (دانتي)- هو الإغراق في طين كريه، من مطر بارد وسام.. أي عندما تغرق الخائنة في أفكارها السلبية تجاه نفسها، وإحساسها أنها تخلت عن كل شيء تؤمن به، وهي تسقط في بئر الخيانة.. فهي خانت كل ما كانت تعتقد فيه من مبادئ وقيم واحترام لنفسها قبل أن تخون الرجل الذي تزوجته، وكأن الإغراق في تلك النظرة السلبية هو عقابها عن خطيئتها تجاه نفسها..

ويأتي المستوى الذي يليه في الجحيم وهو «الغضب أو الغيظ» نهر هائج يتقاذفني يمينًا ويسارًا، ويقذف الرعب في قلبي، وأنا أرى أنه لا أمل في النجاة.. وانعكاسه في الحياة الواقعية هو غضب على السطح الخارجي للحياة يبدو في صورة مشاجرات لا تنتهي في البيت وحتى عدوانية سلبية تجاه المحيطين.. وغضب في النفس من الداخل ينعكس في كراهيتي لنفسي ورغبتي في إيذائها..

تكون المرأة في تلك المرحلة في أضعف أحوالها، ويأتي «الجدل» وتكون كل الدفاعات النفسية أوهن ما تكون.. نرى المرأة الخائنة في تلك المرحلة وهي مليئة بالعدوانية السلبية، غارقة في الاكتئاب، متقلبة المزاج، سيئة الطبع، ولا ترى أي أمل في المستقبل، سيئة الظن، تقفز إلى المشاكل، شديدة العصبية على الأولاد، وغير قادرة على إعطائهم أي شيء.. بل حتى العناية اليومية بالمنزل والأطفال من أثقل ما يكون.. لا توجد حلول مرضية، لا

نقاش مهما كان من تكلم أو من جلس للإصلاح ينتهي بخير.. لا زوج/زوجة يقتنع بخطئه، ولا الآخر يرضى بالتنازل.. ثم «الطمع» حيث لا يرضى طرف بالخسارة.. كحيوان يغرز أنيابه وأظافره في اللحم بغيظ لا يرضى إلا برؤية الدم..

ثم يأتي «العنف» في المستوى التالي، عندما يكون الإنسان على مشارف الموت غرقًا، يتخبط يمينًا ويسارًا بعنف طالبًا النجاة، ويصبح عندها التنفس صعبًا واليأس متمكن منك..

وفي الحياة الواقعية نرى هذا ظاهرًا في العدوانية التي تصيب كل شيء، الزوج والأطفال، الأهل، بل وحتى الله.. وهو ما يقارب الكفر أو حتى التمرد على الله.. أخبرتني إحدى الزوجات في تلك المرحلة أنها كثيرًا ما كانت تقف في الليل في البلكونة تنظر إلى السماء وتبكي وهي تبحث عن الله، وقد تيقنت تمامًا أنه لا يسمع صوتها أو يتجاهلها، بل وكثيرًا ما تشاجرت معه لأنه تركها في ذلك العذاب.. وكانت تلك المرأة في مرحلة من الخيانة وقد فقد العشيق اهتمامه بها عندما بدأت هي تطالب بمكان أكبر في حياته وقد زادت شكوتها أن اهتمامه بها قد قل وأنه قد أصبح يتهرب منها، فتأتى الصحراء.. وهو غريب على العقل، أن يأتي بعد «الإغراق» «الاحتراق» في صحراء جرداء حيث النار لا تبقى على شيء..

لا هي قادرة على العودة شعوريًا لزوجها، ولا هي طالت

السعادة التي هجرت كل مبادئها وسلامها من أجلها، فتصبح نفسها كصحراء خاوية، شمسها محرقة، تقتلها فيها أفكار الخزي والندم.. وعندما يملأها الغضب تجاه الله، تفقد الأمل في الحياة الآخرة بعد أن فقدته في الحياة الدنيا.. وكما قلنا قبلًا تكون الدفاعات النفسية وقتها أضعف ما تكون داخلها.

ويكون (الزيف) مصاحبًا لها في كل مراحل الجحيم.. بداية من المعيار المزدوج للمجتمع الذي قد يسامح الرجل على الخيانة والعلاقات المتعددة، ويحاكم المرأة بقسوة على نفس الذنب أو أقل قليلًا.. المرأة التي تسمح أو تسامح الرجل على العلاقة، وليس على الزواج الثاني، بينما تستشيط نفس الرجل غيظًا إن كانت للمرأة أية علاقة بزملاء العمل أو الأقارب الذكور، ويرى في نفس ذات اللحظة أن من حقه أن يكون لديه صديقات لأنه يثق في نفسه وليس الآخرين.. أهل المرأة الذين يجبرون المرأة على البقاء في منزل يملأه القهر، ويقبلون لها الإهانة أو الضرب، طالبين منها أن تغض النظر عن علاقات زوجها من أجل الأطفال، بدلًا من أن تطلب الطلاق ويساعدونها على العيش بكرامة.. ويجبروها على التضحية بنفسها كإنسانة وكأم وكامرأة على مذبح التقاليد والعادات.. ناسين أن التضحية لا تفرض، بل تقدم عن طيب خاطر.. وأهل الرجل الذي يساندونه ظالمًا أو مظلومًا، قائلين أن الرجل لا يعيبه الخيانة، ويكفيها أنه

يعود إليها آخر الليل، ويصرف عليها وعلى أولادها.

«الزيف» يخلق حالة من الفوضى.. حياة لا غرض منها إلا ادعاء الفضيلة، والخوف من الخروج عن المألوف.. الحياة المليئة بالفوضى لا نتيجة لها إلا الدمار لكل الأطراف خلافًا لما يدعيه حماة الأسرة أن الصبر على القهر هو لحماية الأسرة..

وتبعًا (لدانتي)، فإن آخر مرحلة من مستويات الجحيم أو الانحدار هي «الخيانة» حيث يخون الأقربون.. في ذلك المستوى من الجحيم يكون الإنسان محاطًا بالثلوج..

عندما يبدأ الانحدار وتتكون كرة الثلج وتكبر، لا حماية لأحد.. تطال الخيانة أي شخص مهما كانت درجة قربه.. والخيانة هنا قد تكون خيانة فكرة، قد تكون خيانة إحساس أو رفيق حياة أو أب وأم وليس فقط علاقة خاطئة.. ولكن ما أعلمه جيدًا أن طريق الخيانة لا عودة منه..

غريبٌ ذلك الجحيم البارد.. الثلوج هنا مقصود بها التخلي.. الترك.. الهجر.. الكفر بكل شيء، مبدأ كان أم فكرة.. الخسارة كالعفن الأسود تغلغلت في كل شيء ووصل بالمرأة الخائنة إلى أعمق أعماق الجحيم.. وهنا تظهر (النفس الشريرة) ثانية داعية إياها أن تخون آخر شيء بقي لها.. نفسها..

مستمرون في النزول في رواية (دانتي)، حيث لا بد

أن تعبر أعماق الجحيم كلها، حتى تتطهر من ذنوبها وتصل إلى الغفران.. عندما ظهرت (النفس الشريرة) في آخر مرحلة، كانت تغذي داخلها أفكار الفساد والعدمية وانعدام الأمل.. انعدام الأمل في الحياة يظهر في صورة اليأس من الوصول إلى السعادة أو العيش بكرامة بصورة ترضيها.. وفي أسوأ الظروف قد تبرر التخلص من الحياة.. أي الانتحار.. أو الاستمرار في نفس السلوك السيئ فإعادة الكرة، والدائرة الحلزونية للخيانة على أمل تغيير النهاية.. والتي غالبًا لا تتغير..

ومع ذلك العذاب كله قد يأتي الخلاص وقد خسرت كل شيء.. وقتها فقط إن وجدت طريق الله وتذكرت رحمته رغم العذاب الذي تعيشه.. قد يحدث «التطهير» عن طريق النيران أي أن أتطهر من الذنوب التي فعلتها في أيام سيئة ضللت فيها الطريق وأستعيد روحي من طريق العذاب.. التطهير هو فكرة قديمة في الأديان، وتكون الفكرة أنه كي يذهب الإنسان إلى الجنة والنعيم فلا بد أن يتطهر من ذنوبه جميعها أولًا.. وكأن الألم هنا هو من رحمة الخالق حتى لا يخلد الإنسان في الجحيم.. أي أنني يجب أن أنضج عاطفيًا وروحيًا من خلال المعاناة حتى أفهم وأقدر ما لديّ..

فقط عندما أصل إلى قاع المعاناة واليأس أمد يدي طالبًا المساعدة من الله حتى أجد الحب، أحب نفسي فأنقذها من الهلاك أو الجحيم.. وعندما أطلب العون من الله فورًا

سيُفتح لي الباب.. ولكن لا تظن أن ذلك الإيمان الجديد لن يمتحن ثانية.. خلال الباب ستسمع أصواتًا.. أصوات تدعوك للعودة لما سبق، أشباح من الماضي تجعلك تيأس من رحمة الله، إن نفسك الشريرة لن تتركك بتلك السهولة.. ستحاول تلك الأصوات أن توقظ بقايا الكفر في قلبك، بقايا الرغبة، الشهوة والطمع في السعادة الزائفة.. أو أن تعذبك مرة ثانية بروتين الحياة الواقعية أو حتى ظلم من حولك لك وعدم قبولهم لتوبتك، حتى تكفر ثانية..

ولكن إن كنت قد تطهرت حقًا فلن تكون أبدًا نفس الشخص السابق، الذي يتناسى عذاب التجربة وخسائر الأيام السابقة، الذي تغريه الملذات الحسية بغض النظر عن الثمن المدفوع فيها.. قد تخسر كل شيء في رحلتك خلال مستويات الجحيم، وترى يدك خاوية أكثر يومًا بعد يوم فهل ستكفر؟؟ فهل ستعود؟؟

عندما تتوقف عن مرارتك تجاه الله، وتتوقف عن لومه على خسارتك.. ستبدأ مرحلة جديدة من الغضب، الغضب البنّاء.. ستتوقف عن لوم الآخرين على أخطائك، وتبدأ في تحمل مسئوليتك عن حياتك.. لن تلوم أهلك على زواج فاشل، لن تلوم زوجًا بائسًا على خيانتك.. لن تلوم رجلًا غادرًا سمحت له بخداعك، لن تلوم أطفالك لأنهم السبب في بقائك في رباط فاشل.. ستتحمل مسئوليتك على أخطائك.. ستتحمل الجزء الخاص بك من القصة.. لقد عشت حياة إنسان أناني، ولكنك لست مضطرًا أن

تموت كذلك.. «أنانيًّا»..

وستقول لك نفسك الشريرة عندها: «لقد تدمر كل شيء فلا يهم إن استمررت هكذا، خائفة.. فهذا هو قدرك»، أو «موتي، لقد جربت الحياة وهي لا تصلح لك ولا يوجد حولك من يريدك».. وكلاهما اختياران أحمقان.. الأول حياة من الرخص تتمنين فيها الموت كل يوم.. أو موت سريع لتفادى حياة مليئة بالألم، فتخلدين في حياة أبدية من العذاب..

بينما الحقيقة أن حل تلك المعضلة الأخلاقية هو الألم.. ألم من نوع جديد، وليس الألم الأناني القديم الذي عهدتِه.. في نهاية رواية (دانتي).. يجد الإنسان المعذب الحب الحقيقي بعد أن يعبر بوابات الجحيم متطهراً من خطاياه.. يجب عليك أن تعيدي إيمانك واحترامك لنفسك، وتصدقي أنك تستحقين حياة بلا خوف.. أن تحبي الآخر، الآخر الذي لم يؤذك يومًا ولم يكن له قدرة على الاختيار مثلك وهم أولادك وأهلك.. وبعد أن تحبي نفسك ستفهمين مقولة السيد المسيح: «لو حاولت أن تتمسك بالحياة ستفقدها، بينما لو خسرتها لأجلي ستنقذها».. فعليك أن تتوقفي عن فعل ما هو ممتع، مقابل ما هو مفيد..

ما تأخذينه في داخل روحك، هو ما سيتبعك في حياتك.. الشخص الجيد ينتج خيرًا، من الخير المخزّن داخله.. والشخص السيئ يخرج سيئًا من الشر المخزن

داخله.. وكلاهما أنت، وعليك الاختيار.. ومسئوليته..

---

(9) Alter ego

نظرة الدين إلى الخيانة

اهتمت الديانات السماوية، بالحياة الزوجية وضرورة أن يبذل كل من الزوجين الجهد لمحاولة بناء أسرة سعيدة، وقد تتعرض الحياة الأسريّة لبعض المشاكلات التي قد تقضي على مستقبل الأسرة ومن أهم تلك الأزمات «الخيانة الزوجية».

أكد الدكتور ضياء بدر الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف المصرية، أن الخيانة الزوجية، تعني الزنا، موضحًا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عنه في جملة الموبقات والمهلكات السبع، لذا كان حكم الزنا هو مائة جلدة ﷺ (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (17) أي الجلد ليكفّر عنه خطيئته مشيرة إلى أن تنفيذ العقوبة أمام الناس ليتعظوا.

وبعد هذا السرد لهذا الواقع الأليم للكثيرات ممن سرن في هذا الطريق ظنًا منهن أنهن يهربن من واقع مؤلم يعيشنه، إلى واقع آخر زينه الشيطان للمرأة الخائنة وأوهمها أنها ستجد فيه سعادتها المفقودة.. فلا تجد إلا وخز الضمير والاضطراب والقلق.. فتكون كالمستجير من الرمضاء بالنار..

ولذا فإن هذا الكتاب، وما يتضمنه من قصص واقعية

عاش أصحابها الآلام، إنما هو دعوة إلى التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ففي القرب منه راحة، وفي البعد عنه الشقاء.. قال تعالى:

« فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ».(16).

فلو بلغت الذنوب عنان السماء، فلا يجب أن نتردد أبدًا في الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.. فرحمته واسعة، وبابه مفتوح.. وهو الذي ينادى على عباده: « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ».(15)

والإنسان إذا تاب، فإن الله يتوب عليه، ويبدل سيئاته حسنات، كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا»..(14)

ويترتب على ذلك إنه إذا تابت، وحسنت توبتها فليس عليها أن تخبر أحدًا بذنبها، ولتستر على نفسها، فإن الله ستير، أي يحب الستر..

وقد جاء رجل إلى (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه يسأله عن ابنة له زنت فأخذت الشفرة لتذبح نفسها

وأدركاها، وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت.. وحسنت توبتها، وجاء من يخطبها فاستشار (عمر) في إخبار الخاطب بما وقع من ابنته فقال له (عمر) رضى الله عنه: «أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه، والله لئن أخبرت بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالًا لأهل الأمصار، نكّحها نكاح العفيفة المسلمة»(13)..

وهذا (ماعز بن مالك الأسلمي) لما جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يعترف بالزنا، ورجمه النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه كان محصنًا.. وكان الذي دفع (ماعز) رضي الله عنه للاعتراف رجل من الأمصار يسمى (هزال بن يزيد الأسلمي)، وكان ماعز قد وقع على جاريتين (أي: زنى معهما)، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لهزال: «لو كنت سترته بثوبك لكان خيرًا مما صنعت به»..(12)

فالستر على النفس والغير أولى، لأنه أجدر ألا تشيع الفاحشة في المجتمع ويألفها الناس.. فكل من أذنب بينه وبين ربه، فلتكن توبته مع الله صادقة فيفتح الله له من أبواب الخير بما لا يخطر على بال بشر، فإن ما يجده التائب من ألم المعصية وحرقة الذنب كافيان ليشمله الله برحمته ومغفرته.

وفي الختام، يجب أن نؤكد أن التساهل وعدم الانتباه ممن في مسئوليتك أو رعايتك لهو من خطوات الشيطان، وهو ما يجرئ المرء على الإقدام على تلك الكبيرة المستنكرة عرفًا

وشرعًا وأخلاقًا..

فمهما كانت ظروف الإنسان، والتي يستغلها الشيطان ليوقع العبد في هذه المعصية، فلا بد أن يصرف الإنسان همه إلى طاعة الله والاعتصام به كما قال نبي الله (يوسف) حين دعته امرأة العزيز إلى المعصية: «وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ». (11)

فعاقبة هذه الجريمة في دين الله عظيمة، سواءً في الدنيا أو في الآخرة، إذا لم يتب إلى الله عنها..

ونسأل الله أن يتوب على عصاة المسلمين، وأن يجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن..

(ا/ محمد أحمد كونه.. داعية إسلامي)

موقف الأديان السماوية من الخيانة

المسيحية أيضًا ترفض الخيانة، حيث قال الإنجيل: «من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهًا وهو يكون لي ابنًا، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت والذي هو الموت الثاني فتكن العقوبة في المسيحية هي عقوبة أبدية وليست وقتية كعقوبة الحد ولكنها عقوبة مؤبدة».

وهناك آية أخرى في إنجيل متى (5: 27) سمعتم أنّه قيل: «لا تزنِ»، فأمّا أنا فأقول لكم: من نظر إلى امرأةٍ بشهوة، زنى بها في قلبه. فإذا كانت عينُك اليُمنى سببَ عثْرةٍ لك، فاقْلعها وألقها عنك» وأن المسيح اعتبر شهوة القلب زنًى، وفي دعوته تلك طلب من الإنسان بوضوح أن يقلع عينَه بطريقة ماديّة وأن يُجنّب عينه النظر إلى المرأة بشهوة، وبهذا يسعى نحو كمال الإنسان جسدًا وروحًا. مؤكدًا أن الجماعات المسيحيّة في العالم أجمع منذ البدء وحتى اليوم حكمت على الزاني عمدًا وقصدًا بالفصل، أي أنّ الزاني الذي يُصرّ على خطيئته ويعتبر زناه أمرًا شرعيًا يُفصل عن جسد الجماعة الكنسيّة ويُحرم من الاشتراك في نعمها وامتيازاتها وأنها هي الحالة الوحيدة التي تجوز الطلاق في المسيحية.

أما اليهودية فكان زنا المحصن محرمًا في الوصية السابعة من الوصايا العشر، ولكن هذا لم يكن ينطبق على الرجل المتزوج بإقامة علاقات مع المرأة غير المتزوجة إلا أنه محرم على المرأة المتزوجة ممارسة الجماع مع رجل آخر، وهذا الأمر كان يُعتبر زنا، في هذه الحالة الثانية يُعتبر كل من الزانية والزاني مذنبين في القانون الموسوي كما هو الحال في القانون الروماني القديم وأن العقوبات القانونية للزنا في اليهودية هي الرجم لكل من الرجل والمرأة، ولكن هذا لا يتم إلا عندما يكون هناك شاهدان مستقلان.

تأثير الخيانة على الأسرة

ما أحلى العيش في ظل حياة زوجية مستقرة يملأها الحب والاحترام والود المتبادل.. فالحياة الزوجية من آيات الله في الخلق كما قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»(10)

وقد يحدث خلل أو انحراف في تلك العلاقة بسبب سوء المعاملة، أو انحراف أخلاقي لأحدهما مما يؤدى إلى الملل والتنافر والاكتئاب، ويمكن أن ينتهي إلى التفريق بين الزوجين، أو حتى انتحار أحدهما هربًا من الحزن والكآبة التي يعيش فيها.. ضعف الوازع الديني والذي قد يؤدى بأحدهما إلى إهمال حقوق الطرف الآخر، ويجحده حقه مما يدفع الآخر إلى البحث عن تلك الحقوق خارج إطار الزوجية، إما بغرض الانتقام، أو تعويض نقص المشاعر والأحاسيس المفقودة داخل إطار الأسرة المنهارة والعلاقة الزوجية الشرعية الجافة..

كان هذا الخلل والانحراف محدودًا في الماضي القريب وكان سريع العلاج والالتئام لمعرفة الزوجين بأهمية الحياة الزوجية القائمة على الحفاظ على حدود الله، وأهمية الأسرة داخل المجتمع.

أما الآن، وفي ظل مجتمع ضعيف البنيان لا يهتم إلا بالمظاهر الخادعة من مال وجاه، دون اهتمام بجمال الروح والنفس.. وانتشرت فيه مظاهر الانحلال الأخلاقي من عريّ وعلاقات غير شرعية خارج إطار الزواج

والاختلاط بين الجنسين.. وكأن أفراد المجتمع قد فقدوا الشعور بالنخوة والغيرة على الأعراض، فانتشرت بين أفراده العلاقات الجنسية المحرمة والشاذة، وأصبح الكلام الجنسي والإيحاءات الخارجة في الغالب هي لغة التخاطب.. حتى في الإنتاج الثقافي والفني الذي غلب عليه مظاهر الانحراف وضعفت علاقات الحب والاحترام، وأصبح السائد هو البلطجة والزنا وشرب المخدرات، وأصاب الأسرة من ذلك الكثير.. فرأينا خيانة أزواج لأزواجهم والعكس، حتى أصبح الأمر يكاد يكون ظاهرة تهدد بانهيار المجتمع بأكمله،

«إن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا»..

وقد لمست الدكتورة الفاضلة/ د منال الدغار-حفظها الله- هذه المشكلة المجتمعية الخطيرة بحكم عملها في مجال الطب النفسي، وما قد تؤدى إليه تلك الجريمة - الخيانة الزوجية- من آثار نفسية قاتلة على الزوجة والزوج والأبناء.. وخطورة هذا على الأسرة والمجتمع، فأطلقت هذه الصيحة، وكأنها صيحة نذير للمجتمع كي يتدارك الأمر ويصلح شأنه، ونظرته لمنظومة الأخلاق، ويعمل على إصلاح الخلل والانحراف الذي حدث في تلك المنظومة في السنوات الأخيرة.

وإن كنت أرى إن أساس الإصلاح وقوته واستمراره، يأتي من إصلاح المرأة.. كل المجتمع وليس نصفه.. فهي النصف وتلد النصف الآخر، وقال النبي (صلى الله عليه

وسلم): «إنما الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة».. فصلاح المرأة هو حجر الزاوية في صلاح المجتمع والأسرة.. وليس وقوع بعض النساء في جريمة الخيانة الزوجية يعنى بالضرورة أن كل النساء المتزوجات خائنات.. لا، ليس هذا بمنطقيّ ولا معقول.. وإلا لكان الرجال كذلك كلهم خائنون.. مع اعتقادي أن الخيانة في الرجال أكثر.. فالخيانة عند الزوجة أمر عارض، حدث لظروف نفسية سيئة مرت بها، ووافقت ضعف إيماني شديد، وخفوت لصوت الوازع الديني في قلبها، مع وجود مجتمع وإعلام خبيث يشجع على ذلك تحت دعوى الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي، فوقعت الزوجة المسكينة فريسة سهلة لتلك العوامل مجتمعة، حتى ذاقت مرارة الخيانة وتجرعت من كأسها الآسن.

وهى في هذه الحالة تحتاج إلى من يوقظ ضميرها، ويأخذ بيدها كي تعود إلى رشدها وعفتها ونقاء سريرتها، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «رفقًا بالقوارير».. كذلك تحتاج إلى من يذكرها بأهمية دورها في الأسرة والمجتمع، بل وفي بناء الأمة بأسرها، وذلك لعظيم مكانتها في الشرع والدين فهناك سورة من السبع الطوال في القران تسمى (بالنساء)، ولم يحدث هذا مع الرجال، وأخرى سميت على اسم إحدى النساء الطاهرات وهي سورة مريم عليها وعلى ابنها السلام.. نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، ويحفظ نساءنا وأبناءنا من كل مكروه وسوء.. (د/

(17) سورة النور،الآية: 2

(16) سورة طه، الآية: 124 - 123

(15) سورة الزمر، الآية: 53

(14) سورة الفرقان، الآية: 70 - 69 - 68

(13) كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحروب، والسياسة.. للكاتب رفيق العظم. ص 438

(12) كتاب طريق الإسلام- للشيخ راغب السرجانى

(11) سورة يوسف، الآية: 23

(10) سورة الروم، الآية: 21

الخاتمة

ينظر منتقدو التحرر الجنسي إلى المستقبل بنظرة يأس، وذلك لازدياد معدلات الخيانة بين الزوجات، مما يؤدي إلى فشل الزواج وتدمير الأسر، ويهزأ من فكرة الزواج كمؤسسة.. ينادون بأهمية تشديد القوانين المانعة للخيانة، وأن الزوجات الخائنات لا بد أن يخضعن لعقوبات صارمة ليكن مثلًا للأخريات..

ولكن في النهاية، في أكثر المجتمعات تحررًا، فلقد نجحت فكرة الزواج في البقاء.. ومهما كانت محاولات إجبار المرأة على الإخلاص، فإن من يردن الخيانة سيفعلنها دومًا، «لا يمكن وضع قوانين للمبادئ».. من يرد خرق القانون سيجد دومًا الطريقة.. وفي رأيي أن النظر للموضوع بتلك الطريقة سيؤدى دائمًا إلى هزيمة الذات.. ولكني -وعلى الرغم الصورة القاتمة- أرى الأمل..

لست داعية للفضيلة، وإنما أنا تلميذة في مدرسة الحياة.. قد يرى أي دارس للمجتمع الحالي المستقبل بنظرة مليئة بالتشاؤم، وخاصة مع الجوع والشراهة للانفتاح التكنولوجي السطحي، وانهيار منظمة الزواج والأخلاق في المجتمع.. قد يدعو البعض لوضع قوانين أكثر صرامة نتعامل مع الخيانة.. وإني أرى أن تعامل المجتمع مع الخائنة هو أكثر قسوة من أي قانون قد يضعه إنسان، ومع ذلك فإن منظومة الزواج استمرت، والخيانة استمرت.. وتكون النتيجة

دومًا، «لا يمكن وضع قانون للأخلاق، من يرد الخيانة سيجد لها طريقًا»..

ما رأيته أن الخيانة هي دائرة مفرغة لهزيمة الذات.. إنها تخلق سلسلة من البؤس والتعاسة، واهتزاز الصورة الداخلية، حتى لو لم تكتشف العلاقة.. إن الخيانة تؤدي بالزوجة إلى الكثير من التعاسة والمشاكل والصعوبات التي تؤدي بها حقًا إلى تعلم الدرس، لتصبح «امرأة صلحت توبتها».. وقد تربي تلك المرأة أولادها على المبادئ التي قاست هي الكثير عندما حاولت التخلي عنها.. إنها امرأة تعلمت من الطريق الصعب، ولكنه تعليم نقش في داخلها كالنقش على الحجر..

في خضم تلك الفوضى التي يعيشها العالم، قد يرى بعض الناس أن مؤسسة الزواج في خطر عندما تفقد المرأة الفضيلة، فماذا يبقى؟؟ ولكن دائمًا ما يسود المنطق، ويعود الميزان لوضع الاتزان.. وأرى أن خائنة اليوم، هي داعية للفضيلة غدًا.. بل وكثيرًا ما رأيت زوجة خائنة تسرف في تعليم أبنائها الفضيلة، خوفًا من أن يمروا بالنار التي عبرت خلالها..

وأنا أؤمن بالخير في قلب كل إنسان.. وكثيرًا ما رأيت أنه كان يكفيني مع الزوجة الخائنة أن أريها أني أصدقها، وأؤمن بالخير داخلها، وأنه سيهديها الطريق.. أن ترى أنني لا أحكم عليها وإن كرهت سلوكها، وخاصة عندما ترى قدر التعاسة الذي دخل حياتها عبر الخيانة، وأن ترى

اختيارها في الطريق الذي تسلكه وتتحمل مسئوليتها عن حياتها..

مجددًا.. لست امرأة داعية دينية، ولا أخلاقية.. ولكني تلميذة تعلمت من الطبيعة البشرية، ولهذا أؤمن بقلبي أن فكرة الزواج تحملت كل تلك المصاعب، لأن فطرة الإنسان تقوده إلى الخير في النهاية.. إن أحادية العلاقة هي حل مشاكل الجنس والحياة.. إن الخيانة تسبب كثيرًا من الحزن والمعاناة، بحيث لا يتمسك بها إلا إنسان أحمق أو مريض جدًا.. وإني أرى في مرضاي الكثير من الزوجات اللاتي يقسمن: «لن أفعلها أبدًا مجددًا».. وأنا أعرف في داخلي أنهن صادقات.. إنهن علمن أن الخيانة لا تأتي بالسعادة لأي أحد، وأن العلاقة الخائنة مهما طال وقتها ومهما بذل من جهد للحفاظ عليها فلن تدوم..

يُركز هذا الكتاب على مفهوم الخيانة عامة، والتفسيرات المختلفة لها بغض النظر عن تواجد مرض نفسي يُفسرها أم لا.

هذا الكتاب كتبته نتيجة خبرة حقيقية كبيرة، من حالات واقعية عاصرتها مع العديد من الناس في أشد أوقات حياتهم صعوبة.. تعاملت من خلالها مع أعدادٍ كبيرة من الأزواج والزوجات في جلسات العلاج النفسي الفردي والزوجي، وأردتُ خلاله إلقاء أضواء على الخلفيات النفسية المختلفة للمرأة والرجل، وما الذي قد يدفعهما للخيانة.

في مجمل الكتاب لا أحاول إلقاء الاتهام أو الحكم على امرأة أو رجلٍ وقعا في الخطأ، قدر محاولتي الرفق بهما والأخذ بيديهما قبل الغرق، وإن حدث.. محاولة أخيرة لإنقاذ روحيهما ونفسيهما من الاستمرار في الخطأ؛ حفاظًا عليهما وعلى الأسرة بأكملها.

د. منـــال الدغار

إستشاري أمراض المخ والأعصاب والطب النفسي وعلاج الإدمان.. دكتوراة فى الصحة النفسية.. دراسات عليا فى الطب النفسي الجنسي والعلاقات الزوجية .

- حل مشكلات القراء النفسية فى موقع مجانين.
- كاتبة للقصة القصيرة والرواية والمسرحية.
- سفيرة للنوايا الحسنة بقطاع التعليم بالأمم المتحدة.
- لها مساهمات عديدة في التوعية النفسية والمجتمعية من خلال وسائل الإعلام المختلفة.
- لها ستة أعمال أدبية ونفسية مطبوعة بالأسواق وهي: "زوجات خائنات" (دراسة نفسية)، "مدينة الأحلام الملعونة" (قصص قصيرة)، "طيور لن تهاجر ثانية" (رواية)، "الحب منك وإليك" (قصص قصيرة)، "الرجل الذي لم يستطع التوقف" (دراسة نفسية)، "الزهايمر العلاقات" (دراسة نفسية).

COVER DESIGNED BY AHMED FARAG

ضفائر
t.me/twinkling4

9 789776 963696

E-mail: publish@tashkeel-publishing.com
Tashkeeel
201006250473
www.tashkeel-publishing.com

تشكيل للنشر والتوزيع